المديح بين الشعرين العربي والفارسي
من خلال ديواني الأرجاني والمعزى

د. أحمد أبو المجد أحمد محمد*

مقدمة:

هذا البحث يتناول موضوع المديح بين الشعرين العربي والفارسي من خلال ديواني الأرجاني والمعزي ، وكان السبب في اختياري هذا الموضوع هو:-
أن المديح يعد من أكثر الأغراض الشعرية رواجا عند الشاعرين الذين اتخذتهما مجالا للبحث.

لذا حاولت توضيح صورة الممدوح عند الشاعر الفارسي وكذلك صورة نفس الممدوح عند الشاعر العربي وهل كان هناك اختلاف بينهما؟ أم اتفاق؟ أم اختلفا في بعض الصور والأخيلة واتفقا في بعضها الآخر ؟ وهل انفرد كل منهما بصوره الخاصة ؟

كل هذه التساؤلات حاولت البحث عن إجاباتها من خلال هذه الدراسة.

ولم يكن هدفي من وراء هذه الدراسة هو بيان أي من الشاعرين قد تأثر بالآخر ذلك لأن مفهوم التأثير في الأدب المقارن يعد مفهوما واسعا فقد اختلف رواد الأدب المقارن في تعريفه وكذلك في التفرقة بينه وبين مفهوم الاستقبال ومفهوم التوازي .

فالتأثير معناه:

تأثير كاتب في كاتب أخر بشرط أن تكون بينهما علاقة مؤكدة .

أما مفهوم الاستقبال:

فيعني استقبال العمل الأدبي ودراسته ، خارج حدود لغته القومية؛ ولقد خلط دارسو الأدب المقارن بين هذين المفهومين فنرى "**فان تيجم**" مثلا، يقول بأنه " **في التطبيق نجد أن دراسة تأثير كاتب ما في بلد أجنبي يرتبط**

ارتباطاً وثيقاً بدراسة استقبال أعمال هذا الكاتب وتذوقها في ذلك البلد الأجنبي حتى أنه يصبح من المستحيل في أغلب الأحوال الفصل بين الاثنين[١].

ونظرا لعدم إمكانية إثبات علاقة ما بين الشاعرين لم استطع دراستهما من خلال مفهوم التأثير وكذلك بسبب عدم توفر مفهوم الاستقبال عند كليهما في الجانب الآخر لن نستطيع دراستهما من خلال مفهوم الاستقبال لذا كان مفهوم التوازي هو أصح المفاهيم لدراستهما .

أما مفهوم التوازي:

فهو يعني دراسات نقدية في المقام الأول يلقى من خلالها العملان الخاضعان للمقارنة الضوء أحدهما على الآخر، وتبرز من خلال المقارنة الخصائص المميزة لكل منهما.

ويقسم (ج . ت . شو) دراسات التوازي إلى مجالين أساسيين[٢]

الأول:

هو دراسة المادة التي يمكن إخضاعها للمقارنة بين عملين أدبيين أو أكثر ويتعلق هذا المجال أساسا بالموضوعات المتشابهة ، أو(المتوازية) أو بمعنى آخر بالمضمون .

الثاني:

هو دراسة عناصر الشكل التي يمكن مقارنتها في عملين أو أكثر وفي كلا المجالين فإن هذه (التوازيات) لا ترجع بالضرورة إلى تراث مشترك أو إلى علاقة فعلية بين الكتاب أصحاب هذه الأعمال أو بين بعضها البعض.

ولكن كان لابد أن أبدأ دراستي بعرض موجز جدا للمديح في الأدب العربي والأدب الفارسي والإشارة إلى عملية التأثير والتأثر بين الأدبين لكي

أنطلق من هذا العرض إلى صلب الدراسة وتحاشيا مني لعدم تكـــرار مـــا ورد في الدراسات السابقة عن المديح في الأدبين العربي والفارسي لكثرة مـــا كتب فيه لذا اكتفيت بتمهيد سريع عنه وأدعو الله عز وجل أن أكون قد وفيـت الدراسة حقها.

يعد المديح أحد الأغراض الشعرية التي عرفها الشعر العربي منذ العصـــر الجاهلي وبمطالعتنا لدواوين الشعراء الجاهليين كالنابغة الذبيـــاني والأعشـــى وأمية بن أبي السلط وزهير بن أبي سلمى نستطيع الوقوف على أهم الصفـات التي كان العرب يعجبون بها ويجعلونها ركائز مدائحـــهم ، وفـــي مقدمتـــها. الكرم والشجاعة والإقدام والنجدة وعراقة النسب وما يتصل بها مـــن ســـجايا محمودة حينئذ...

ومن أشهر شعراء المديح الذين عرف عنهم عدم الاستجداء بالمديح زهـــير بن أبي سلمى المزني الذي أنشد أكثر قصائده في الثناء علي كل من هرم بـــن سنان والحارث بن عوف المريين لتوسطهما في الصلح بين عبس و ذبيـــان ، بمثل قوله[٣]:

يمينا لنعم السيدان وجدتمـــا على كل حال من سحيل ومبـــرم
تداركتما عبسا و ذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشـــم

أما في صدر الإسلام فقد تطور المديح تطـــوراً موضوعيـــاً وفنيـــاً يواكب عصر الدعوة ، وخصص الجانب الأكبر مـــن مدائـــح المخضرمين لتبيان الشخصية المحمدية الغراء ، واتجه الشعراء حينئذ إلى الاســـتفادة مـــن الموروث الجاهلي ، والبناء القيمي الإسلامي في الإشـــارة بمعـــالم النبـــوة ، ودلائل الرسالة في شخص النبي محمد ﷺ مسلطين الأضـــواء علـــى مـــا تراءى لهم من عبقريته وصدقه وفطانته وأمانته وتنزهه عن الهوى ،وأدبـــه القويم ، وسمو أخلاقه ،وعراقة نسبه وحياته وغير ذلك من السجايا والأخلاق

الكريمة التي كانت محل تقدير العرب قبل الإسلام وبعده مما لا يتعارض و أقباس الدعوة الإسلامية الغراء [٤] .

كما كان مدح الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم يرتكز على وصف الشعراء لياهم بالسبق إلى الإسلام ونصرة الدعوة وعمق الإيمان وصحة العقيدة والتقوى والورع والإيثار والجهاد وغير ذلك مما يلائم عهد صدر الإسلام .

أما في العصر الأموي فقد اشتملت المدحة ، إلى جانب المعاني السابقة - على وصف الممدوح بجعله إماما يقتدي بالنبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ويقود الرعية إلى طاعة الله ونصرة دينه مهديا معصوما من الزلل وشهابا من الله سبحانه وتعالى على حد قول عبيد الله بن قيس الرقيات (ت ٧٥هـ) في مدح مصعب بن الزبير [٥] (ت ٧١هـ).

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

إضافة إلى وصفهم بالمداومة على الصلاة والصيام والخشوع والخضوع لله الواحد القهار على حد قول أيمن بن خريم في آل البيت النبوي [٦] ﷺ.

نهاركم مكابدة وصوم وليلكم صلاة واقتراء

وليتم بالقران و بالتزكي فأسرع فيكم ذاك البلاء

ناهيك عن الإشادة بالممدوح وجعله عمادا للمسلمين يقرأ القرآن ويعرف أسراره ويبينها للناس في بصيرة عن أمره وسداد من فعله ، أمينا لله ، تحق على الرعية طاعته مثل وصف جرير بن عطية الخطفي (ت ١١٠هـ) لعبد الملك بن مروان. (ت ٨٦هـ) بقوله [٧]

لولا الخليفة والقرآن يقرؤه ما قام للناس أحكام ولا جمع

أنت الأمين أمين الله لا سرف فيما وليت ولا هيابة ورع

أنت المبارك يهدي الله شيعته إذا تفرقت الأهواء والبدع

وفي العصر العباسي تطور المديح تطوراً موضوعياً وفنياً واكب ما أحرزته الحضارة الإسلامية من تقدم وازدهار .. ونلاحظ في قراءتنا لعيون الشعر العباسي أن منشديها قد وضعوا نصب أعينهم وظيفة الممدوح ، ومكانته الدينية والسياسية والاجتماعية وراعوا في مدائحهم الفروق بين الممدوحين خلفاء ووزراء وأمراء وولاة وقادة وعلماء وكتاباً متخذين قصائدهم المد حية وسيلة تربوية سديدة في تربية الأفراد والمجتمعات المحيطة بهم [٨] مثل قول البحتري (ت ٢٨٤) في الخليفة المعتمد.

معتمد فينا على الله قد ... أيده الله بعقد وثيق
ترى عرى التدبير يحكمن عن ... مقتصد فيما يعاني شفيق
لقد وجدنا لك إذ سستنا ... سياسة الحاني علينا الشفيق[٩]

وإذا كان الممدوح وزيرا فيمدحه بحسن الرأي وصدق المشورة والأمانة وما إلى ذلك من هذه الصفات.

مثل قول أبي نواس في الفضل بن الربيع:

والله خص بك الخلـ ... ـيفة فاصطفاك على بصير
فإذا آلاث[أ] بك الأمور ... كفيته قحم[ب] الأمور[١٠]

هذا من ناحية الموضوع أما من ناحية البناء الفني فإذا وجهنا أنظارنا إلى البناء الفني لقصيدة المدح من الجاهلية حتى أواسط القرن السادس الهجري لاحظنا أن أصحابها قد دأبوا في كثير منها على الالتزام الفني لسبب أو آخر ببناء فني ثابت، أو شبه ثابت.

يبدأ الشاعر قصيدته بمقدمة قصيرة أو مطولة نسيبا في الغزل أو وصف المشاهد الطللية ، المصحوبة بالنسيب ، أو رحلة الظعن أو الطيف أو الأرق الذي يصاحبه طوال ليله ، مع التعريج ، أحيانا على الحنين إلى الشباب

(أ)- آلاث : استودعك إياه

(ب)-قحم : جمع قحمه وهي : الاقتحام في الشيء والمهلكة

واجترار آلام الشيخوخة ، أو استبدالها ببعض الأدعية والحكم المـأثورة ، أو المفاخرات أو غيرها متنقلاً منها إلى وصف الناقة أو الطريق أو وصفـهما معاً ومنه إلى المديح.. كما نلاحظ في مطالعتنا اللامية لكعب بن زهير التـي أفردها للاعتذار للنبي ﷺ والثناء عليه مستهلا بقوله:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرهـا لم يجز مكبـول[١١]

معرجاً في مطلعها على التغزل بسعاد تغزلاً معنوياً و حسياً ومنه إلى وصف الناقة ، والطريق والوشاة .. حتى وصل إلى مناجاة النبي الكريـم ﷺ وتقديم أبيات اعتذاره لشخصه مشفوعا بالمدح والثناء مجسداً في قوله:

إن الرسـول لنـور يستضاء بـه

مهنـد من سيـوف الله مسلـول

ومثل ذلك الإطار الفني المتوارث ما نراه في مطالعتنا لجمهرة شـعر المديح في كل من أدب المخضرمين وأدب العصر الأموي ..ما عدا الكميـت بن زيد الأسدي (ت ١٢٦هـ) الذي أفرد عدة قصائد في مـدح آل البيـت النبوي الشريف، مما عرف بالهاشميات ، حريصاً على غرس بواكير الثـورة على طقوس اللوحة الطللية التي ترسخت تقاليدها في الجاهليـة والإسـلام ، بوصفه جانباً من مشاعره الحانية النبيلة لا لإلى البيض الحسان ، ولا بصبـوة نزق وهيام شباب أهوج ، غير متعلق في لهو وقـوة أسـر ولكـن إلىأهـل الفضائل والتقى والحسب الرفيع والمجد المؤثل من آل البيت النبوي الكريـم رضوان الله تعالى عليهم قائلاً:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعبـا منـي أذو الشيب يلعب

ولم تلهني دار ولا رسـم مـنزل ولـم يتطـربني بنـان مخضـب

ولكن إلى أهـل الفضائـل والنهى وخير بني حـواء و الخير يطلـب[١٢]

مما مهد الطريق أمام أبي نواس (ت ١٩٨ هـ) ومعاصريه من شعراء العصر العباسي للخروج على معالم هذا الصرح الفني الموروث ، بمثل ما يطالعنا بقوله:

صفة الطلول بلاغة الفدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم[١٣]

وقوله:

لست لدار عفت برصاف ولا على ربعها بوقاف

ولا أسلّى الهموم في غسق الليل بحاد في البيد غساق[١٤]

ومثله سلم الخاسر الذي استهل مدحه لأحد الخلفاء العباسيين بالتعريج على النيل من الأطلال ، والدمن وما تفتقر إليه من قدرات النطق أو الجواب على السائل قائلاً:

سألت الديار وأطلالها وما إن تجاوب سؤالها

منازل قد أقفرت بعدنا وجرّت بها الريح أذيالها[١٥]

وبعد ذلك وضع النقاد قواعداً ينبغي مراعاتها عند نظم قصيدة المديح من هذه القواعد:-

• - إذا كان الممدوح ذا منصب عال فينبغي عدم الإطالة في القصيدة كي يسهل حفظها وتناقلها.

• - ينبغي تحاشي الألفاظ والتراكيب التي تحتمل أكثر من معنى لذلك بدأت تتشكل الملامح الفنية لقصيدة المديح وخصائصها وكان من السمات التي ظهرت لقصيدة المديح لهذا العصر المغالاة وخاصة عند الشعراء غيرالعرب.

أما عن الأدب الفارسي بعد الإسلام فقد استفاد من الأدب العربي منذ بداياته الأولى فكان المنهج المتبع في إنشاد قصائد المديح لدى شعراء الفرس هي أن تبدأ بوصف الطبيعة أو أحد فصول السنة ثم يخرج الشاعر من هذا إلى مدح الممدوح ولكن البعض الآخر من الشعراء الفرس الذين كانوا يقلدون الشعراء العرب في أغراضهم و مضامينهم أخذوا يحتذون

عيون الشعر العربي في أشكاله وصوره وأفكاره فقد حاولوا الوقوف على الأطلال والبكاء عليها وذكر المحبوبة وفراقه لها ثم ينتقل إلى وصف الصحراء والناقة ثم ينتهي بعد ذلك إلى مدح الممدوح كالمنوجهري[١٦] الذي يقول:

إلا يا خيمكى خيمه فروهل كه بيشاهنك بيرون شد ز منزل[١٧]

الترجمة:

-ألا أيها الخيام انزل خيمتك

فقد تقدم دليل القافلة وخرج من المنزل.

لذا نجد أن المدحة في الشعر الفارسي قد نشأت متأثرة بمثيلاتها في الشعر العربي وهذا يعني أن شاعر المديح الفارسي إذا كتب في غرض المديح مثلا كان يتأثر بالبناء الفني التقليدي للقصيدة العربية القديمة ويتخذها نموذجا يحتذيه.

لأنه يفضل الشعر العربي على غيره ويتمنى ان يصل إلى مكانة العرب في قول الشعر فنجد الشاعر الفارسي المنوجهري يقول:

دهاد ايزد مرا در نظم شعرت دل بشار وطبع ابن مقبل[١٨]

الترجمة:

فليهبني الله وأنا أنظم الشعر في مدحك

قلب بشار وطبع ابن مقبل

ليس هذا فحسب بل كان يقتبس بعضا من الصور الشعرية العربية اعتباراً من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي فتخرج قصيدته مليئة بالخلط بين الصور والتشبيهات التي ترجع أصولها إلى عصور الأدب العربي المختلفة التي أشرنا إليها.

وكان الشاعر الفارسي يفتخر بمعرفته للشعر العربي ويري أن هذه ميزة تجعله أفضل من غيره كقول المنوجهري:

من بسي ديـوان شعـر تازيان دارم زبر

تو نداني خواند:الا هبي بصحنك فاصبحين[١٩]

الترجمة:

أنني أحفظ كثيراً من دواوين أشعـــــــار العرب

وأنت لا تستطيع قراءة : ألا هبي بصحنك فاصبحينا

فالمديح كان وسيلة لثراء صاحبه ورقيه وارتفاع شأنه ،ونلاحـــظ أن الشاعر الفارسي الرودكي[٢٠]يعد من ألمع رجالات عصـــره بفضـــل مديحـــه للأمير نصر بن أحمد السامان

مرا جود أو تازه دارد همي مگر جودش ابرست ومن كشت زار[٢١]

الترجمة:

إن جـــــوده يتجدد بالنسبة لي

فكأن جوده السحاب وأنا المزرعة

بذلك أصبح المدح حرفة يحترفها الشاعر من جهة وإطاراً فنياً يجسد ما غلب على عصره من قيم اجتماعية وسياسية ودينية ..من جهـــة ثانيـــة .. إضافة إلى ما ساد حينئذ من مبالغات وصراعات مذهبية .. ونحوها من جهـــة ثالثة كل هذا ربما يجعله يحيد عن الصدق الفني ويضفي على ممدوحـــــه بعض الصفات التي ليست فيه.

هذا ما لفت نظري عند الشاعرين المختارين محوراً لهذا الموضـــوع فالأرجاني[٢٢]فارسي المنشأ ولكنه نظم ديوانه بالعربية وكان بعض ممد وحيـه من العرب وبعضهم الآخر من الفرس أما المعزي[٢٣]فهو فارســـي المنشـــأ فارسي الشعر يحمل ثقافة عصره ولم يمدح شخصيات عربية خالصـــة إلا في القليل النادر كتلك القصيدة المعنونة **[بخليفة بغداد]** ومـــن أجـــل ذلـــك خصصنا هذا البحث المتواضع لدراسة فن المديح عند كليهما في إطار معيـــن وهو أنني سأختار من خلال ما أنشده كل شاعر منهما علـــى حـــده قصيـــدة

واحدة فهي تدور حول ممدوح واحد و لـــنرى كيـف تتـاول الأرجـاني ممدوحه بالعربية وكيف تناول المعزي ممدوحه بالفارسية والسبب في اختيـار هذين الشاعرين طرفي مقارنة ترتكز على عدة دعائم أهمها:

أولا:

أنهما عاشا تقريبا في عصر واحد فالأرجاني قد عـاش بيـن سـنتي[٤٦٠-٥٤٤هـ] — والمعزي قد عمر بين سنتي [٤٦٥-٥٤٢هـ].

ثانيا:

وجود شخصيات عديدة قد مدحها كل منهما الأرجـاني بالعربيـة والمعـزي بالفارسية.

ثالثا:

التعرف على مدى تأثر الأرجاني ببيئته الفارسية في شعر العـرب ومـدى تأثر المعزي بالثقافة العربية الشائعة آنذاك في شعره الفارسي .

رابعا:

التعرف على الصور الشعرية والأخيلة التي تفرد بها كل منهما

وستعتمد دراستنا على ثلاث قصائد لكل منهما قالاها فـي ذات الممدوحيـن حتى تكون المقارنة صادقة.

القصيـــــدة الأولى

والتي ستكون مجال دراستنا فهي تلك التي مدح فيها المعـزي والأرجـاني [السلطان مغيث الدين أبو القاسم محمود بن محمد٥١١-٥٢٥هـ] .والتـي عنوانها في ديوان المعزي [در مدح سلطان مغيـث الديـن محمـود بـن محمد[٢٤]

ونصها :

چـون خلـد شد خراسـان بـــا شادي مخـلد

از شـــــاه با سعـادت محمود بن محمد

شـــاهي كـه بود خواهـد تا دامن قيـــامت -

هم ملك او مهنـــا هم بخـــت او مؤيد

شاهي كه در سخـــاوت صد خسروست تنهـا-

شاهي كه در شجاعت صد لشكراست مفرد

از بهـــر افســـر او زايد زآب لـــؤلـؤ -

وزبهـــر ســاغر او خيزد زخاك عسجد

لعل وزبرجد از كـــان آرد پديـــد گـــردون -

تـا بر كمـــر نشاند هم لعل وهم زبرجد

اسبش بگـــاه جـــولان مـاند بچـرخ گردون-

وز فـرقد ست وشعرى او را لگام ومقود

شـاهيست او كـــه دارد در خـاندان شـاهى -

دولت زيـــادت از مرحشمت زيادت ازحد

هست از بلنـد بختى چـــون عم وچون برادر -

هست از بزرگـــوارى مـانندهٔ اب وجد

شاه جهـــان محمد ذو شـاكر است وراضى-

زيـــر درخت طـوبى در جنت مخلـد

با نـاز و شادمـــانى امـروز آمـــد ايـدر -

بـــا عـز وكـمرانى فـردا رسد بمقصد

سلطـــان عـالم او را بـر تخت پـنادشاهى -

هر روز در خراسان مجـــدى دهد مجدد

بـــاغ مـــراد سلطـــان گردد بـــدو مزین -
کـــاخ نشـــاط لشکـــر گردد بدو مشید
وز رای روشـــن او دلهـــا شـــود منـــور -
وز فـــر طلعت او رخ هـــا شد مورد
ای خســـروی کـــه پیشت گر شیر حمله آرد -
دستت بـــزخم خنجر آن حمله را کند رد
هـــر کس که باتو دل را چون تیر راست دارد-
در پیش تو بخدمت همچون کمان کنـد قد
چـــون مهـــر آسمـــان را مهرت شود قلاده -
بوســـد زمین بخدمت منت مخلـــــد
چـــون بـــر ســـر تو بـــاشد آن افسر مرصع -
چـــون در ید تـــو باشد آن خنجر مهند
خـــورشید را تـــو گـــویی داری نهـــاده برسر -
مریخ را تـــو گـــویی داری گرفته در ید
بتـــوان شمـــرد آســـان اسبـــاب دولت تو -
گـــر قطـــره های باران هرگز شود معدد
دولت بســـان نصرت کـــردست با تو پیمان -
تا عـــالمست بـــاشد پیمـــان او مؤکد
از لفظ مدح گـــویان در حق پـــــادشاهان -
گـــر فـــال سعد بـــاشد فال رهیت اسعد
تـــا آفـــرین ومـــدحت از بـــرکنند شـــاهان -
چـــون کـــودکان مکتب از بـــر کنند ابجد
این مدح گوی مخلص زودا که در خـــراسان -
در مدح وآفـــرین ســـازد بسی مجلد
خـــوانند ویـــاد گیرند آن شعـــر های زیبا -
هم عالمـــان افضل هم فاضلان اوحد

تـــا گـــرد زهره ومهر بر روى خوب رويان-

بـــاشد زعنبـــر وند زنجير ها معقد

تـــا بنده بـــاد رايت همتـــاى زهـــره ومهر -

خـــوش بوى باد بزمت مانند عنبر وند

از فـــر بخت بـــادا عيشت همـــــه مهنـــا -

وز مهـــر شـــاه بادا كارت هنه ممهد

پيوسته جـــان مـــادح در شكـــر تـــو مغرق -

همـــواره پـــاى حاسد در بند تو مقيد

ديـــدار تـــو مبـــارك ايـــام تو همـــايون -

تـــأييد تـــو مخلـــد اقبال تو مؤيد

الترجمة:-

في مدح السلطان مغيث الدين محمود بن محمد

عنـــدما تخلدت خراســان بالسرور الخـــالدة

من الملك السعيـد محمـــود بـــن محمـــد

هـــو الملك الذي سيكون حتى يوم القيامـــة

ســـواء ملكـــه مهنى وســـواء حظـــه مؤيـد

هو الملك الذي يعادل بمفرده مائة كسرى في السخاء

وهوالملك الذي يعادل بمفرده مائة جيش في الهيجاء

يستخـــرج اللؤلؤ من البحر من أجـــل تاجه

ويستخرج الذهب من الأرض من أجل كـــأسه

ويستخـــرج الياقوت والزبرجد من منجم الفلك

لكي يرصـــع الخصر إما بالياقوت وإما بالزبرجد

جـــــواده كالفلك الدوار في وقت الجـولان

يصنع له اللجام والمقـــود من فرقده وشعره

هو الملك الذي للأسرة الملكيـــة في عهده
الدولة الزائدة عن الحشمة والزائدة عن الحـد
هو كالعـــم والأخ فـــي الحظ العـــالي
و كـالأب و الجـــــد فـــــي العظمة
"انتقل" ملك الدنيا محمد راضٍ عنه وشاكراً له
"إلى مكانه" تحت شجرة طوبى في الجنة المخلدة
جـــاء الآن إلى هنـــا بالدلال و السعادة
وسيصل بالعـــز والتوفيق غـــداً إلى المقصد
أجلســـه سلطان العالم على عرش المملكة
وكـــل يـــوم يجـــدد مجداً في خراســـان
تـــزدان حـــديقة مـــراد السلطان به
وبـــه يشيـــد قصـــر طـــاقة الجيـش
تصبـــح القلـــوب مستنيرة من رأيه المنير
وتتـــورد الوجـــوه مـــن بهـاء طلعته
أيهـــا الكســـروي عندمـــا يهاجمك الأسد
تدفع يدك ذلك المهاجم جريحـــا بطعنة خنجر
إن قلب كل شخص طائعاً لك كالسهم المستقيم
وقـــامته خـــاضعة في خدمتك كـــالقوس
عندمـــا تصبح شمسك قلادة لشمس السماء
تُقبّل الأرض طاعة لك طامعةً في المنة المخلدة
عندمـــا يرصـــع ذلك التـــاج رأســـك
عندمـــــا يكون في يدك ذلك الخنجر المهنـــد
كـــــأنك تضـــع الشمس علـــى رأسك
وكـــــأنك ممســـك بالمـــريخ فـــي يـــدك

يمكـــن حصـــر إنجازات دولتك بسهولة
لـــو أمكـــن حصـــر قطـــرات المطـــر
تعـــــاهدت الدولـــــة معك مثل النصـــر
طـــالما يـــؤكـــد العـــالم عهـــــده
لـــو يكـــون الفأل سعيدا من قصائد المديح
التي يقولونها الشعراء في حق الملوك فعبدك أسعد
إن مـــديحك المخلص يزيع سريعا في خراسان
على الرغم من أن هذا المديح في مجلدات عديدة
إن الملـــوك يحفظـــون مديحك وإطرائك
كمـــا يحفظ أطفـال المدرسة حروف الأبجدية
سواء العلماء الأفاضل وسواء الفضلاء الأوحدون
يقرءون ويتعلمـــون تلك الأشعـــار العذبة
مادام الزهرة والقمر يدوران على وجوه الحسان
فـــإن عقـــد الضفـــائر تتكون من العنبر
فليكـــن رأيـــك منيـــر كالـزهرة والقمر
وليكـــن محفلـــك طيـــب الرائحـــة كالعنبر
فليكـــن الجميـــع سعـداء من حسن حظك
وليكن أمرك كلـــه ممهـــداً من شمس الفلك
روح المـــادح دائمـــاً منتشرة شاكرة لك
وقـــدم الحـــاسد دائمـــاً مقيدة بقيـدك
طلعتـك المبـــاركة وأيـــامك السعيدة
وتـــأييدك مخلـــداً وإقبـالك مؤيداً

أما القصيدة المقابلة لها عند الأرجاني فعنوانها :- [في مدح السلطان مغيث الدين محمود بن محمد][٣٥] ونصها:

يـــا مُودع السرَ سراً عند أجفاني ... ومُتبِـــــع السِـــــرِّ إيصاءً بكتمانِ
وخاتِمـــاً لي على العَيْنَيْنِ في عَجَلٍ ... لمـــــا التقينـــا وقد غاب الرقيبانِ
بخـــــاتمٍ من عقيقٍ أحمرٍ عجبٍ ... ونقشـــهُ بالآلي البيضِ سطـــرانِ
أمنتُ إنســـانَ عينـــي أن ينُمّ به ... أيـــامَ مـــا مـــن وفاءٍ عند إنسانِ
لـــم يُغرِ بي غير شاني في وشايته ... والنـــاس بالبعـــد لايدرون ما شاني
إلا العبّـــادِيُّ زيـــداً عنـــد موقِعِهِ ... متـــرجماً عند كســـرى قـــولَ نعمانِ
لـــم تحكِ يا دمْعُ عَيني عند قاتِلَتي ... غَـــداةَ تـــرْجَمتَ عن بثّي وأشْجاني
لله بـــــدرٌ وأطـــرافُ القنا شُهُبٌ ... يجلـــوهُ فيهـــنَّ من صُدغَيْه لِيلانِ
تقـــولُ للبـــدرِ في الظلماءِ طلعَتُهُ ... بـــأيِّ وجـــهٍ إذا أقبلتُ تلقـــاني
وجهُ السمـــاءِ مرآةٌ لي أطالعُهَا ... والبـــدرُ وهْنـــاً خيالي فيه لاقـــاني
لـــمْ أنسَهُ يَـــوم أبكاني وأضحكـــه ... وقـــوفنا حيث أرعـــاه ويرعـــاني
كلُّ رأى نفسَـــهُ فـــي عين صاحبـــهِ ... فالحسنُ أضحكـــهُ والحـــزنُ أبكـــاني
قد قَـــوَّسَ القـــدُّ توديعـــا وقربني ... سهمـــاً فأبعدني مـــن حيث أدناني
وكنتُ والعِشـــقَ مثـــل الشمع معتلقاً ... بالنـــارِ أبقيتَـــهُ جهـــلاً فـــأفناني
يـــا من بطرفٍ وقـــدٍّ منه غـــادرني ... مُتَعِـــتعاً بيـــن مخمـــورٍ وسكـــرانِ
لِـــمَ فتلُ صُدغَيكَ طولا الـــدهر تلبسه ... أُذنيك قيـــداً وقلبـــي عنـــدك العاني ؟
والســـاحران هما العينان منك لنا ... فلـــم يُعَـــاقِب بالتنكيس قِرطـــانِ
أخشـــى عليك وقـــد أضررتَ معتدياً ... عُقبـــى جنـــايةِ طرفٍ منك فتّانِ
ففـــي زمـــانِ مُغيثُ الدين سائسهُ ... لا يجســـرُ الدهـــرُ إبقاءً على جاني
أعلى السلاطين في يومي ندًى ووغًى ... رأيـــا وأفضلهـــم ســـرا لإعلانِ
لا يملأُ العيـــنَ منـــه نظـــرةً أحدٌ ... ويملأُ الأرضَ مـــن عـــدلٍ وإحسانِ
فـــي القلب منـــه مكـــانٌ لا يُتَيّمه ... أجفـــانِ بيـــضٍ ولكن بيضُ أجفانِ
لـــم يعهدوا كمضـــاءٍ في صوارمِهِ ... في سيفِ غمـــدٍ ولا فـــي سيفِ غمدانِ

أغـــرُّ يمتـــاحُ مـــن قلبِ القلوبِ له ... حُمـــرَ الميـــاه دراكـــاً سُمر أشطانِ
سيـوفُهُ البيضُ مـا لم تُجرِ بحر دمٍ ... فـــي عينـــهِ كسـرابٍ عند ظمـآنِ
تكلُّ إن ســار عين الشمس عنه سنًا ... حتـــــى تـــوَدَّ لو انصانت بأجفانِ
لكنْ مظلّتـــه تُضحـــي مَسدّتُهـــا ... فيتقـــي نـــورها منه بأكنـــانِ
إذا بـــدا طالعـــاً في سرج سابقةٍ ... في يـــوم هيجـــاءَ أو في يوم ميدانِ
فالطـــرف حاكي ريـــاح أربعٍ حملت ... قصـــراً ، وفـــارسه حـــاكى سليمانِ
من خـــاتَمُ الملك في يمنـــاهُ صارمُهُ ... فلا يُخـــافُ عليـــه خطفُ شيطـانِ
بـــل متنُه الدهـــر فيه من سياسته ... إذا نظـــرتَ إليـــه حبسُ جنـــّانِ
يـــا آخذ الأرض بـــأسا ثم معطيها ... جـــودا ، فللناس منـــه الدهرَ يومانِ
مـــن لو تصـــافن ماء البحر عسكرهُ ... لمـــا استتم لهـُم في الشرب دورانِ
مـــن يـــرتدي بحديد الهند من شرف ... وينعـــل الخيـــل راجيـــهِ بعقبانِ
لاغـــروَ أن وسَمَتْ أيـــدي الجياد له ... منـــاكبَ الأرض من قاصٍ ومن دانِ
فأنتِ وُسِّمـــتِ أيضا يا سمـــاءُ له ... فما هِـــلالُكِ إلا نُـــونُ سلطـــانِ
لمـــا امتطى الخيلِ والأفلاك لاح له ... بالنـــار والنـــورِ للأبصارِ وسمانِ
يستـــرزقُ الـــوحشُ مثل الأنْس نائلَهُ ... مـــن كفّ مطعـــامِ خلق الله مطعـــانِ
يُقـــري الـــولي ويُقـــري بالعدو إذا ... مـــا ضـــافهُ جائعـــا نسرٍ وسرحـــانِ
كـــم يفتـــدي كلمـــا شاء القنيص له ... غـــرٌّ علـــى الغـــرّ مـــن خيلٍ وغِلمانِ
وفـــي الكنـــانن منهـــم و الأكُفّ معاً ... إلـــى وحـــوش الفلا جنـــداً خليطانِ
مـــن كـــل سهـــمٍ وسهمٍ طائرٍ بهما ... مـــن مستعـــارٍ ومملـــوكٍ جناحان
زُرقُ جـــوارحُ أو زرقُ جـــوارحُ قدْ ... علقـــنَ منهـــم بأيســـارٍ و أيمانِ
وكـــل مستـــردفٍ يعدو الحصان به ... مثـــل السبـــايا قعوداً خلف فرسانِ
تقـــولُ خـــاطت لـــه ثوباً أديم نقًا ... مـــن فـــارِ مســكٍ فتيقٍ أدْمُ غُزلانِ
كـــأن فـــي كل عضوٍ منْه من شرَهٍ ... إلـــى التقنـــص مفتـــوحاتُ أعيانِ
وأغضفٍ مثـــل نجم القذف من سرعٍ ... إذا عـــدا ، لاحـــقِ الأحشاء ، طيانِ
يعـــودُ فـــي كفـــهِ خطفاً و سبقتهُ ... كأنهـــا قبســـةٌ فـــي كفِ عجـــلانِ
فاســـأل يُجبـــك خبير القوم عن ملكٍ ... يـــداه والجـــود في الدنيا حليفانِ

ما بـــال تصـــوير أُســدٍ في سرادقهِ ... وليس يمـــلأُ خـــوفا منـــه عينانِ
والأســـدَ إن كان يوم الصيد يُبصرها ... يقـــدن قدّامـــه قـــوداً بـــآذانِ
هـــل ذاك إلا لأن المستجيـــر به ... يُعيضُـــهُ الـــدهرُ اعـــزازاً بإهوانِ
يـــا عادلا عـــدلُه و الفضل في قرَنٍ ... وقائـــلا قـــولُه والفعـــلُ تـــربانِ
إن كـــان في عدل نوشيروان مفتخرٌ ... والنـــاس فـــي عهـــده عبـّادُ نيرانِ
فأنت تكبـــر عن شيـــهٍ تقـــاسُ به ... لكن وزيـــرُكَ نـــوشيروانِ الثـــانـــي
لـــيسَ السعـــادة إلا كالكتاب ولا ... حُســـنُ اختيـــار الفتى إلا كعنـــوانِ
فـــرغت للديـــن والدنيا تسوسُهُما ... وأنت مـــلآن مـــن عُـــرفٍ وعـــرفانِ
ذو همـــةٍ في سمـــاء المجدِ عاليةٍ ... مـــن دونِ أقصـــرِ سُمكَيهـــا السمّاكانِ
لايهتـــدي الفـــلك الأعـــلى لغايتها ... فـــدورهُ المتمـــادي دورُ حيـــرانِ
ملكٌ إذا مـــا تـــوانت نظرتان له ... فعـــد عن ذكر بـــرجيسٍ وكيـــوانِ
محمـــودُ اسمـــاً وفعلاً في ممالكهِ ... بكـــلِّ مـــا ساس مـــن رزقٍ وحرمانِ
تقضـــي كـــواكب أطراف الرماح له ... علـــى الملـــوك بنصـــر أو بخذلانِ
أضحت علامـــة بالله اعتصمت له ... علـــى فتـــوح عـــذارا مثل برهانِ
كفعـــل معتصـــم بالله قـــام فلم ... يعهـــد كفتحيـــه للإســـلام فتحـــانِ
فـــي الـــروم والخرميين الذين طغوا ... وسط الممـــالك دهـــرا أي طغيـــانِ
كذاك تـــرجوك للفتحين فـــي نسق ... وقـــد تشبـــه أزمـــان بـــأزمانِ
يـــا زائـــدا عظم شان كلما نظروا ... لا زلت ذا عظـــم شـــان يرغم الشانيِ
إذا نظـــرت إلى قـــرن قضى فرقا ... فأنت عن سل سيف للعـــدى غـــانِ
تقبيـــل كفك و هو البحر غوص فمي ... للقـــول فيـــك علـــى در ومـــرجانِ
حتـــى م كفـــي ملئ من لهى ملك ... وسمعـــه مـــن ثنـــائي غيـــر ملآنِ
إن كان في الناس من كفران أنعمـــه ... كفـــر فكفـــران مولى الأرض كفرانِ
إلـــى كنـــي النبي ابن السمي له ... مـــن الملـــوك سرت بي كل مذعانِ
حتـــي تصـــرف في حل و مرتحل ... تصـــريف حـــرف بتحـــريك واسكانِ
فـــاسمع بذا العيد سمعا أنت مرعيه ... فليس خلف المعـــاني مثـــل إمعـــانِ
بديعـــة تتلقـــاها الرواة لهـــا ... حيث انتهت مـــن عـــراق أو خراسانِ

إن لـــم تكـــن قبل حسان فوائدها فإن مهـــديها مـــن جيـــل حسان
إذا يميـــن أميـــر المؤمنين غدا وقـــد تسورهـــا فالفخـــر أغنـــاني
أضحـــى سريرك قد حف الكفاة به كـــأنه البيـــت محفوفـــا بأركـــان
فلـــيس ينفـــك من قرب ومن بعد يحـــج إذ راعـــه عيـــس بركبان
فعشت في ظل ملك لا انحصـــار له حليـــف جـــد وفـــي غيـــر خوان
جـــددت مـــا أبلت الأيام من أدب فـــدمت للـــملك أو يبـــلى الجديدان

وبعد أن ذكرت نص القصيدتين بالكامل لكي تكتمل الصورة أمام القارئ أبـدأ في دراستهما وتحليلهما

١- يبدأ المعزي قصيدته بالمدح مباشرة في الوقت الذي يبدأ الأرجاني قصيدتـه بالغزل حتى يصل إلى البيت رقم ١٩ فيبدأ في الغرض الحقيقـي مـن القصيـدة وهو المدح.

وقد بدأ المعزي مديحه بوصف مظهر ممدوحه من خلال إشارته إلـى أن الأحجار الثمينة والمعادن النفيسة تستخرج من الأرض والماء لكي يتزين بها السلطان قائلا:

ازبهر افسر او زايد زآب لـؤلـؤ
وز بهر ساغر او خيزد زخاك عسجـد
لعل وزبرجد از كان آرد پديـد كـردون
تا بر كمر نشاند هم لعـل وهـم زبرجد

الترجمة:

- يستخرج اللؤلؤ من البحر أجل تـاجه .
ويستخرج الذهب من الأرض أجل كأسه .
- يستخرج الياقوت و الزبرجد من منجم الفلك.
لكـي يرصع الخصر إما بالياقوت وإما بالزبرجد.

أما الأرجاني فقد وظف أبيات الغزل التي أوردها في بداية القصيـدة توظيفا جديدا فهو لا يتغزل في المعشوق كغيره من الشعراء وإنما يتغـزل

في الممدوح نفسه وقد استخدم في هذا الجزء الغزلي بعض التشبيهات التي كانت رائجة في الأدب الفارسي بعد الإسلام و من هذه التشبيهات قوله:

وخاتمـا لي على العينين في عجـل لمـا التقينا وقد غاب الرقيبان

بخاتـم من عقيق أحمـر عجـب ونقشـه باللآلي البيض سطران

فهذه الصورة الشعرية وهي تشبيه الفم في الضيق بالخاتم وفي اللون بالعقيق الأحمر وصفي الأسنان بسطرين من اللؤلؤ صورة موجودة في الشعر الفارسي منذ بداياته بعد الإسلام.

يتضح من خلال المثالين السابقين أن كلا من الشاعرين وصف ممدوحه ولكن من خلال رؤية خاصة لكل واحد منهما.

٢- يصف المعزي ممدوحه بصفات معنوية تقليدية قد وردت كثيرا في الأدب العربي منها صفتا الشجاعة والسخاء وإن أبرزهما في إطار بلاغي بديع في قوله:

شاهي كه در سخاوت صد خسرو ست تنها

شاهي كه در شجاعت صد لشكر ست مفرد

الترجمة:

- هو الملك الذي (يعادل) بمفرده مائة كسرى في السخاء.

هو الملك الذي (يعادل) بمفرده مائة جيش في الهيجاء.

فجعله يعادل مائة ملك في السخاء و يعادل مائة جيش في الشجاعة . وقد اقتبس هذه الصورة التشبيهية من الشاعر العربي المتنبي الذي يصف فيها ممدوحه سيف الدولة بكونه يتفوق بقدرته على الجيوش الضخمة وذلك فقوله:

يكلف سيف الدولة الجيش همـه وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم[٢٦]

أما الأرجاني فقد تحدث عن كرم ممدوحه وشجاعته وقد وصل في وصفه لكرم ممدوحه بأنه لم يجعله كريما مع الإنسان فقط بل جعله كريما مع

الحيوان أيضا عن طريق تحدثه عن قوة الممدوح في الحرب التي تؤدي إلى كثرة قتلاه الذين يصبحون بدورهم طعاما للحيوانات في قوله:

لما امتطى الخيل والأفلاك لاح له بالنار والنور للأبصار وسمان
يسترزق الوحش مثل الإنس نائله من كف مطعام خلق الله مطعان
يقري الولي ويقري بالعدو إذا ما ضافه جائعا نسر و سرحان

وهذه الصورة استمدها من شعر المتنبي من القصيدة نفسها التي قد اقتبس منها المعزي صورته الشعرية السابقة :

يفدى أتم الطير عمرا سلاحه نسور الفلا أحداثها و القشاعم
وما ضرها خلق بغير مخالب وقد خلقت أسيافه والقوائم [٢٧]

ثم ينطلق إلى تجسيد هذه الصورة فالأعداء أمامه ما هم إلا صيد يتصيده بسهوله.

من هذا يتضح أن المتنبي بوصفه شاعر مديح كان فيما يبدو ماثلا أمام شعراء المديح الذين تلوه عربا وغير عرب بدليل ان المعزي والأرجاني قد اقتبسا منه صورتين شعريتين من قصيدة واحدة تعبر عن مضمون واحد و ممدوحهما شخص بعينه.

ونظرا لطول قصيدة الأرجاني عن قصيدة المعزي كان المجال أمامه أوسع لكي يكرر الحديث عن صفات ممدوحه بصور مختلفة فنجده مثلا قد تناول صفتي الشجاعة والسخاء السالفتين بصورة أخرى غير التي أشرنا إليها في قوله:

يا آخذ الأرض بأسا ثم معطيها جودا فللناس منه الدهر يومان

يجعل الشاعر يومين لممدوحه الأول تظهر فيه شجاعته وبأسه واستيلاؤه على الأرض ، واليوم الثاني يظهر فيه جوده وكرمه فهو يعتمد على المقابلة بين الشطرين.

ولعلنا لاحظنا أن : المعزي والأرجاني يصفان ممدوحهما بالسخاء والشجاعة ولكن المعزي استطاع أن يأتي بصورة شعرية رائعة يبرز هاتين الصفتين في ممدوحه وهي أفضل من الصورة التي أتى بها الأرجاني في وصفه، وإن كان الفضل في جمال صورة المعزي وتفوقها يرجع إلى الأصل العربي وهو (شعر المتنبي) الذي استمدها منه .

٣- حاول كل شاعر أن يشابه بين ممدوحه وشخص آخر ذا شأن عال.

فالمعزي قد شبه عهد السلطان محمود بعهد عمه سنجر(٥١١-٥٥٢هـ)في قوله :-

هست از بلند بختي چون عم وچون برادر

هست از بزرگواري مانند اب وجد

الترجمة:

- هو كالعم والأخ في الحظ العالي .

وكالأب والجد في العظمة .

وهذا تشبيه خاطئ لأن السلطان محمود كان يحكم من خلال سنجر إذن فالعصر واحد ولا مجال للمشابهة بين الرئيس والمرؤوس أو السلطان وعماله فالسلطان محمود كان يعد حاكما على إقليم العراق ، وهو من أقاليم دولة السلاجقة التي كانت كلها تحت إمرة سنجر.

أما تشبيه عهد محمود بعهد أخيه فلم يسبقه إليه أحد من إخوته ولكن تولى طغرل بعد محمود وربما يقصد السلطان مسعود بن محمد الذي انتصر محمود عليه، أما الأرجاني فقد شبه السلطان محمود في عدله بكسرى أنوشيروان في قوله:

يا عادلا عدله والفضل في قرن وقائلا قوله والفعل تربان

إن كان في عدل أنوشيروان مفتخر والناس في عهده عبّاد نيران

ويتضح ظهور الأثر الفارسي في البيتين السابقين ، فالأرجاني لم يستطع إخفاء النعرة الفارسية، على الرغم من إطرائه الزائد على

السلطـــان محمود فهو يشبه السلطـــان محمود في عدله وهو مســـلم يحكـــم المسلمين،، بأنوشيروان العادل الذي كان غير مسلم وهذا في حد ذاته يعد ذمـل في صورة المدح لأن أنوشيروان بهذا التشبيه يتفوق على السلطان محمـــود، ثم يحاول استدراك ما وقع فيه ويذكر أن الممدوح أكبر من أن يشبه بشخص آخر ، ويحاول إخفاء ما ذكره سابقا بذكر وزيره أنوشيروان الثاني في قوله:

فأنت تكبـــر عن شبـــه تقاس بـــه لكن وزيـــرك أنوشيروان الثاني

ولعلنا لاحظنا أن المعزي والأرجاني قد جانبهما الصوابَ في المشابهة بيـــن السلطان محمود والطرف الآخر الذي أورده كل منهما ، ولكن الأرجاني قـــد فطن إلى ما وقع فيه فحاول استدراكه في الوقت الذي لم يتنبه المعزي لتلـــك السقطة ولم يتداركها فيما بين أيدينا من أبيات القصيدة .

٤- لقد تأثر المعزي والأرجاني بأسلوب المديح في الشعر الجاهلي وما تـلاه وذلك من خلال تركيزهما على صفات كثيرا ما وردت فـــي شـــعر المديـــح الجاهلي وإن حاول كل منهما التجديد في الصورة الشعرية التي استخدمها .

فالمعزي يمدح ممدوحه بالقوة وذلك في قولهٖ:

أي خسروي كه پيشت گر شير حمله آرد

دستت بزخم خنجر آن حمله را كند رد

الترجمة:

- أيها الكسروي عندما يهاجمك الأسد
- تدفع يدك ذلك المهاجم جريحاً بطعنة خنجرك

ويواصل تأثره بشعر المديح العربي في العصر الجاهلي ومـــا تـــلاه فنجده يمدح ممدوحه برجاحة العقل وبهاء الوجه في قوله.

وز راي روشن او دلهـــا شود منوّر وز فرّ طلعت او رخها شود موردّ

الترجمة:

- ولتستنير القلوب برأيه الراجـح

وتتورد الوجوه من عظمة طلعته

يتضح في هذا البيت التجديد الذي أضافه المعزي إلـى الصـورة الشـعرية الجاهلية الموروثة للممدوح فرجاحة العقل هنا ليست فـي أمـور السياسـة والحكم أو أمثالها فحسب إنما هي لتنير قلوب الآخرين أي يصل بممدوحـه إلى أن يكون هاديا ومرشدا ، هذا من ناحية الجوهر ، أما من ناحية المظـهر فقد شبه ظهوره وأثره على الآخرين بظهور الربيع وأثره ، فهو بذلـك لـم يقف عند حدود الصورة العربية المتوارثة حتى عصـره وإنمـا حـاول أن يطورها ويجددها كما لاحظنا.

أما الأرجاني فقد مدح ممدوحه بالقوة ولكن بأسلوب تقليدي لا تجديـد فيه وذلك في قوله:

والأسد إن كان يوم الصيد يبصرها يقدن قدّامـه قـودا بـآذان

فهو يصور ممدوحه شجاعا مقررا أن مجرد رؤية الأسود له تجعلـها تسير أمامه كما لو كانت منقادة من آذانها ،وهي كما نلاحظ صورة بسـيطة ومسطحة ولا تجديد فيها على عكس ما ورد عند المعزي .

٥ - ولقد وقع كل من الشاعرين في بعض الأخطاء التاريخية وربمـا كـان منشأ هذه الأخطاء هو ميل الشاعرين إلى إضفاء بعض الصفـات أو نسـبة بعض الأعمال التي لم تكن للسلطان محمود فالمعزي قد جعله حاكما لإقليـم خراسان وهي كانت حينئذ عاصمة السلاجقة في قوله:

چون خلد شد خراسان با شادي مخلد از شاه با سعادت محمود بن محمد

الترجمة:

- عندمـا تخلـدت خراسـان بالسرور الخالد

مـن الملك السعيـد محمـود بن محمد

(وحقيقة الأمر أن محمود قد حكم في العراق لا في خراسان وذلك بأمر السلطان سنجر)[٢٨] كما يتضح ذلك من خلال قول المعزي نفسه:

سلطان عالم او را بر تخت پادشاهي هر روز در خراسان مجدي دهد مجدد

الترجمة:

- **(أجلسه) سلطان العالم على عرش المملكة**

ليجدد كل يوم مجداً في خراسان.

أما الأرجاني فقد أخطأ هو الآخر حين أشار إلى عدم وجود جناة في عهد السلطان محمود في قوله:

ففي زمان مغيث الدين سالسه لا يجسر الدّهر إبقاء على جاني

بينما الواقع يؤكد أن عصر السلطان محمود هذا كان غير مستقر فالوزراء هم الذين كانوا يتحكمون في مقاليد الأمور كما يتضح من خلال ما ورد عن فترة حكمه في (المصادر التاريخية) [٢٩] .

كما يخطئ الأرجاني في تحريفه لقب من ألقاب السلطان محمود وهو (يمين أمين المؤمنين)[٣٠] فيحذف لفظة (يمين) ويحرّف(أمين) إلى(أمير) ويلقبه "بأمير المؤمنين" في قوله:

إذا يمين أمير المؤمنين غدا وقد تسورها فالفخر أغناني

وهذا خطأ لأن لقب أمير المؤمنين لم يتلقب به إلا الخليفة العباسي نفسه .

وهذه بعض الأخطاء التي وقع فيها كلا الشاعرين .

وبذلك نكون قد تناولنا النقاط التي اشترك الشاعران فيها معا . أما النقاط التي انفرد بها كل شاعر عن الآخر فنوجزها فيما يلي:

<u>أولا : النقاط التي انفرد بها المعزي :</u>

١- يبدو أن المعزي كان واعيا لما يجب أن تتصف به قصيدة المديح وخصوصا تلك التي يكون الممدوح بها من الحكام ويظهر هذا جيدا في بعض أبيات هذه القصيدة التي نحن بصددها منها قوله:

ز لفظ مدح گویان در حق پاد شاهان

گر فال سعد باشد فال رهیت اسعـــد

این مدح گوی مخلص زودا که در خراسان

در مدح وآفـــرین ســازد بسی‌مجلد

تا آفریــن ومدحت از بــر کنند شــاهان

چون کودکان مکتب از بر کنند ابجـــد

الترجمة:

لـــو يكـــون الفأل سعيدا من قصائد المديح

التي يقولونها الشعراء في حق الملوك فعبدك أسعد

إن مـــديحك المخلص يزيع سريعا في خراسان

على الرغم من أن هذا المديح في مجلدات عديدة

إن الملـــوك يحفظـــون مديحك وإطرائك

كمـــا يحفظ أطفـال المدرسة حروف الأبجدية

يتضح من هذه الأبيات أن المعزي مستوعبا للدعائم الأساسية التـــي وضعها النقاد العرب حتى عصره في قصيدة مديح الحكام أو الشـــخصيات الهامة حسبما اتضح من مفهوم الأبيات السابقة.

٢- لقد بالغ المعزي في مديحه كغيره من شعراء المديح عندما أشـــار إلـــى أعمال السلطان محمود التي لا تحصى ، ولا تعد في قوله:

بتوان شمرد آسان اسباب دولت تو گر قطره هاي باران هر گز شود معدد

الترجمة:

- يمكن حصر إنجازات دولتك بسهولة

لـــو يمكـــن عـــد قطـــرات المطـــر

والحقيقة أن السلطان محمود كان يحكم من خلال السلطان ســـنجر وبالتـــالي ينبغي أن تنسب كل الأعمال لسنجر لا لمحمود هذا إن كانت لمحمود أعمال تذكر.

٣- لقد جدد المعزي في صور المديح فلم تقف تجديداته عند حدود تطوير الصورة العربية للمديح في العصر الجاهلي وما تلاه من عصور أدبية بل ابتدع صورا جديدة ربما لم يسبقه أحد إليها من هذه الصور قوله .

هر كس كه با تو دل را چون تير راست دارد

در پيش تو بخدمت همچون كمان كند قد

الترجمة:

- كل شخص يجعل القلب مستقيما معك كالسهم

ويجعل القد في خدمتك كالقوس

مثل هذه الصورة جديدة فيما نعلم فتشبيه قلب الشخص في الطاعة والاستقامة كالسهم هذا من حيث الجوهر وتشبيه قامة المحكوم كالقوس المنحنية إشارة إلى الخضوع من حيث المظهر .

ونستشهد بصورة جديدة أخرى قد استخدمها المعزي في هذه القصيدة:-

چون مهر آسمان را مهرت شود قلادة

بوسد زمين بخدمت منت كند مخلد

الترجمة:

- عندما تصبح شمستك قلادة لشمس السماء

تقبل الأرض طاعة لك طامعة في المنة المخلدة

وهذا يعني أنه لم يخضع البشر له فقط بل أخضع له الطبيعة، فالشمس وهي تسلط أشعتها على الأرض كأنها تقبلها طاعة له ، هذه هي المبالغة التي اشتهر بها الفرس و قد استعارها العرب منهم ، فصور المبالغة عنده كثيرة سواء التقليدية و غير التقليدية.

ثانيا: النقاط التي انفرد بها الأرجاني :

١-استعراضه لثقافاته المختلفة،إذ يبدو أن الأرجاني كان ملما بثقافات عصره إلماما جيدا.

أ-استخدامه المصطلحات العلمية فنجده يستخدم في هذه القصيدة بعض المصطلحات العلمية كاستخدامه لمصطلح إنسان العين في قوله:

أمنت إنسان عيني أن ينمّ به أيام ما من وفاء عند إنسان

فاستخدامه مصطلح كهذا يعني أن ممدوحه السلطان محمود كان أيضا على علم بمثل هذه الأمور إذ لا يمكن أن يؤتى بأشياء في قصيدة المديح لا يفهمها الممدوح.

ب- **إلمامه بعلم الفلك**و استخدمه بعض أسماء النجوم الفلكية التي لا يعرفها إلا من يقرأ في علم الفلك كقوله:

ذو همة في سماء المجد عالية من دون أقصر سمكيها السّماكان

فقد أشار الشاعر في هذا البيت إلى نجمين وهما السماكان.[٣١]

ج- **ثقافته التاريخية** يظهر الشاعر ثقافته التاريخية التي يشير من خلالها إلى وجود علاقات قديمة بين العرب والفرس ويؤكد فيها على أصالته الفارسية ذلك في قوله:

إلا العبادي زيدا عند موقعه مترجما عند كسرى قول نعمان

وهو يشير في هذا البيت إلى علاقة كسرى بالنعمان، ويشبه نفسه بعدي بن زيد العبادي[٣٢] مترجم كسري أنوشيروان وهو في منزلة عدي عند السلطان محمود علما بأن محمود لم يكن في حاجة إلى من يترجم له من العربية إلى الفارسية لأنه كان يجيد اللغتين حسبما ذكر المؤرخون ، كما نطالع في قول عماد الدين الأصفهاني:

[كان محمود قوي المعرفة بالعربية ، حافظا للأشعار والأمثال الأدبية ،عارفا بالتواريخ والسير ناظرا فيما يوجب الاعتبار من الغير] [٣٣]

ومثال آخر من الأمثلة التي تتضح فيها ثقافته التاريخية قوله:

كفعل معتصم بالله قـام فلـــم يعهـد كفـتحيـه للإسـلام فتحان
في الروم والخرميين الذين طغوا وسط الممالك دهرا أي طغيـــان
كذاك نرجوك للفتحين في نسـق وقد تشبه أزمـــان بأزمـــان

ويتدرج الشاعر في مديحه فيبدأ بأن يشبه السلطان محمود بالخليفة العباسي المعتصم الذي فتح الروم وقضى على الخرميين وهو بذلك يشير إلى الموقعة التي دارت بينه وبين أخيه مسعود بن محمد بن ملكشاه بالقرب من همذان سنة ٥١٣هـ[٣٤] التي انتصر فيها محمود ، أما الفتح الثاني ففتح السلطان محمود لبلاد شيروان التي كانت تحت إمرة شيروان شاه [٣٥]

٢-**ميله إلى الإكثار من استخدام المحسنات البديعية** كالجناس في قوله:

لم يغر ني غير شاني في وشايتـه والناس بالبعـد لا يدرون ما شاني

فقد وقع الجناس بين لفظتي [شاني في الشطر الأول و شاني في الشطر الثاني] فالأولى بمعني دموعي والثانية بمعنى شأني . كما تلاعب كثيرا باللغة عن طريق الإكثار من الطباق والتورية وغيرها من المحسنات في قوله:

كل رأى نفســه في عين صاحبه فالحسن أضحكـه والحزن أبكاني
قد قوس القدّ توديعـا وقرّبنـــي سهمـا فأبعدني من حيث أدنـاني

فهو يستخدم في هذين البيتين الجناس بين(حسن) و(حزن) والطباق البسيط بين (أضحكه) و(أبكاني) و(أدناني) و(أبعدني) .

٣- **المبالغة:**

بالغ الأرجاني في وصف السلطان محمود إذ شبهه بالرسول ﷺ عن طريق اشتراكهما في كنية واحد وهي (أبو القاسم) وبالتالي تشبيه نفسه بحسان بن ثابت وبناء عليه تسمية مدائحه بالبدائع في قوله:

إلى كـني النبّي ابن السّميّ لـه من الملوك سرت بي كل مذعـان

وقوله :-

بديعـــة تتلقـــاها الرواة لها حيث انتهت من عراق أو خراسان

إن لم تكن قبل حسان فوائدهـا فإن مهديهـا من جيل حســـان

٤- **استخدامه بعض الألفاظ الفارسية** :استخدم الأرجاني بعض الألفـــاظ الفارسية التي ربما لم يستخدمها شاعر من قبله في اللغة العربية في قوله.

ملك إذا ما توالت نظرتـان لـه فعد عن ذكـر برجيس و كيـــوان

يظهر الأثر الفارسي بوضوح في استخدامه لفظتي (برجيس) بمعنـى المشتري و (كيوان) بمعنى زحل وهاتان اللفظتان لم تردا تقريبا في الشعر العباسي بل وردت إحداها بهذا المعنى عند الشاعر الرودكي[٣٦] الذي ســـبق هذا الشاعر بحوالي مائتي سنة في قوله:

يكي نماند كنون وآن همه بود و بريخت

جه نحس همانا كه نحس كيوان بود [٣٧]

الترجمة:

- الآن لم تبق واحدة وسقطت جميعها

أي نحس هذا إنه كان نحس زحـــل

نخلص من هذا إلى أن المعزي كان مسطحا في مديحه لا يركز فيـــه على صفات الممدوح المعنوية مثل ما فعل الأرجـــاني فـــي مديحـــه لنفـس الشخص، وكذلك يتضح من مديح المعزي أنه يميل إلى التغزل في الممـــدوح أكثر من أن يذكر محاسنه ومميزاته ولكن الأرجاني تفوق عليه في جمـــال الصورة الشعرية عن طريق استخدامه ألفاظ بسيطة ومحسنات بديعية خاليـــة من التعقيد وإيجاد موسيقى داخلية تشع جمالا على الأبيات وتنـــوج المعنـــي ببريق يجذب الأذهان بالإضافة إلى أنه كان أكثر عمقا في مديحه .

والقصيدة الثانية

التي سندرسها تلك التي عنوانها عند المعزي[در مدح خليفة بغداد] [٣٨]

ونصها :-

زمشـــرق تـا حد مشرق شناسد هر که دین دارد-
که دیـن رونـــق بتایید امیر المؤمنین دارد
امـــام الحـــق که او را آفرین گویست در گیتي -
هـــر آن کو طاعت یزدان گیتـي آفرین دارد
گـــرفتارند گمـــراهان میـــان ظلمت وبـدعت -
زبهـــر آن که اونـور امامت بر جبین دارد
جهـــان تنگست بـــــر اعدا بسان حلقه خاتم -
..... نگین دارد[1]
زهـــــر عـــاقل شنید ستم کجا باشد شب آبستم -
گمـان آمـد مرا کین لفظ معنی نامتین دارد
چـــو دیـــدم رایـت شبـــرنگ او زاینده نصرت -
بدانستم کـــه لفظ عـاقلان معنی چنین دارد
بکعبـــه در حجـــر بوسنـــد دین داران اگر ایدر -
بیـــاید آستین او ببوســـد هر که دین دارد
بخلـــد اندر دو حجت بـــود تـــایید وسعادت را-
بنـــام آن که در إسلام تحقیـق ویقین دارد
یکـــی گـــویی نهـان کردست در زیر حجر ایزد -
دگـــر گویی امیـر المؤمنین در آستین دارد
بـــرو هر گـــز حوادث را نبـاشد راه تا محشر -
کـــه از تـایید یزدانی یکی حصن حصین دارد
هـرآن کس را که رای او کند تمکین درین حضرت-
خـدایش در مکـان عز وفیروزی مکین دارد

---

[1] -یذکر الفضل أن هذا البیت ساقط في جمیع النسخ وورد هذا الشکل في نسخة واحد
انظر : الدیوان حاشیة ص ١٧١

بشرع انـــدر هر آن برهان که باید مر خلافت را –
زاصـل او پدید آمد کـــه تـاریخ مبین دارد
چـــه باید بیش ازین برهان که اندر اصل جدان را–
یـــکی معتصـم دارد یکی چون مستعین دارد
امـــام راستینست او وشـــاه راستـــان سلطان –
ولایت تیـــغ آن دارد شـریعت کلك این دارد
بـــود زین دولت وملت خمیده پشت بد خواهان –
کـــــه شاه راستان عهد امام راستین دارد
باقبـال امـــــام الحق بود در یك زمان حاصل –
هـر اندیشه که در خاطر شاهنشاه زمین دارد
بـــود جفت یمیـــن او همیشـــه طایر میمون –
زبهـــر آنکـه سلطان معظم را یمین دارد
جهـــان از فتنـــه وبدعت بفر او امان یابد –
که فر اوست چون پری‌کجا روح الامین دارد
بخـــاك انـدر دفین دارنـد شاهان گنج شاهنشه –
بجـــای گنج دشمن را بخاك اندر دفین دارد
بفـــر او بگیـــرد شاه روم وهند وچین یك سر –
که در طالع نشان فتح روم وهند وچین دارد
خلاف او مخـــالف را چـــو رو باهی کند عاجز–
وگر چه در دلیری قوت شیـــــر عرین دارد
خـــدای او را زبهروزی دهد هر روز منثوری–
کـــــه آن منثـور توقیع از کرام الکاتبین دارد
زبهـــر عز وپیروزی معـــزی اندرین حضرت –
زبـــانی بـــر دعا دارد دلی بر آفرین دارد
شـگفت ار خـــاطر وطبعش ببغداد اندرون باغی –
کـــه آن باغ از معانی هم گل وهم یاسمین دارد

الا تـــا گـــونه پيـــرى جهان از ماه دى دارد -
چنـــان چـــون فر برنايى زماه فرودين دارد
بـــدر گـــاه امير المؤمنين خواهم كه هر روزى -
زمـــانه مركب اقبـــال ودولت زير زين دارد
معينش بـــــاد يـــزدان تا بماند بخت او عالى -
كه عالى بخت باشد هر كه يزدان را معين دارد

الترجمة :-

في مدح خليفة بغداد

كـــل مـــن ذا ديـــن فـــي كل العـــالم يعلم
أن الديـــن يزدهـــر بتأييـــد أمير المؤمنين
إمـــام الحق الذي يزيع شعر مديحه في كل الدنيا
طاعته مفضلة عند كل من في الدنيا كطاعة الله
هم أسرى تائهون بين الظلمـــة والبدعة
مـــن أجـــل ما له من نور الإمامة على الجبين
الدنيـــا ضيقـــة علـــى الأعداء كحلقة الخاتم
....له فص
سمعت مـــن كل عاقل تساؤلا : أين الليلة الحبلى ؟
كنت أظـــن أن هـــذا التســـاؤل لا معنى له
عنـــدما رأيت رايتـــه السوداء وهي تلد النصر
عـــرفت أن هـــذا هـــو معنى تساؤل العقلاء
الآن لـــو كان المتدينون يقبلون الحجر في الكعبة
فينبغـــي أن يقبـــل طرف ردائه كـــل متدين
فليخلـــد التـــأييد و السعادة لهاتين الحجتين
بـــاسم من لـــه في الإسلام التحقيق واليقين

كـــــأن واحـــدة مختفيـــــة في حـــوزة الله

وكـــأن الأخـــــرى مختفيـــــة فـــي كمه

لـــن تجد الحوادث الطريق له أبدا حتى يوم المحشر

فـــــإن لـــه حصنـــا حصينا من التأييد الإلهي

كل من يجعله الخليفة ذا رأي مكين في هذه الحضرة

يجعـــل الله مكانـــــه فـــي العز والنصر سابقا

فلتجب له الخلافة طبقا لكل برهان في الشرع

ويتضح من أصله أنه ذو تاريخ مضيء

أيلزم برهـــــان عن أصلـــه أكثـــر من جديه

أحـــــدهما المعتصـــم و الآخـــــر كالمستعين

هو الإمـــام الصادق والسلطان مليك الصادقين

للأول سيف الولايـــــــة وللثاني قلم الشريعة

فلتتقـــــوض دولـــة الحســـاد وأمتهم من هذا

لأن ملك الصـــــــادقين له عهد الإمام الصادق

حدث "بفضل" إقبال إمام الحق في لحظة واحدة أن

أصبحت كل فكرة في خيال الملك حقيقة واقعة

كـــان الطائـــر الميمـــون دائمـــا رفيق يمينه

لذلك كـــان التوفيـــق حليفا للسلطان معظم

تخلـــو الدنيـــا من الفتنـــة والبدعـــة بفضله

فإن لفضلـــه جنـــــاح كـــالروح الأميـــن

الملوك يدفنون الكنوز فـــي التراب ، وملك الملوك

يـــدفن الأعداء في التراب بدلا من الكنـــــوز

يستولي على ملك الروم والهند والصين دفعة واحدة

طبقا لإشارة الفتح بطالع الروم والهند والصين

يجعـــل خصمـــه كالثعلب عـــاجزا عن مخالفته

علـــى الرغم من أنه شجاع كالأسد في العرين

كـــل يـــوم ينثـــر الله عليـــــه الانتصارات

فإن لذلك المنثـــــــور توقيعا من كرام الكاتبين

إن المعز في هذه الحضرة من أجل العـــز والنصر

له لسان للدعاء به وله قلب من أجل الاعجاب

لـــو تفتح خياله و طبعه في حديقة بغداد لتلك

الحديقة معان إما من الورد وإما من الياسمين

كمـــا للدنيـــا منظر الشيخوخة من فعل شهر دي

كذلك لهـــا رونق الشباب من فعل شهر فرودين

أتمنى أن أكون في بلاط أمير المؤمنين كل يوم وكل

لحظة أكون مركبا تحت ســـرج الإقبال والدولة

فليكـــن الله معينـــه لكـــي يكـــون حظه عال

فكـــــل من كان عال الحظ فهو بتأييد من الله

والقصيدة المناظرة لها عند الأرجاني عنوانها

[في مدح الخليفة المستظهر [٣٩]]

ونصها: [٤٠]

طـــربت لإلمـــام الخيـــال المعاود ومســـراه في جنح من الليل راكد

وضجـــة صحبي بالفلاة ومـــا لهم بهـــا غير ايدي العيس ملقى وساند

ونـــومي إلى جنب المطية في الدجى ولفـــى بها فضل الزمام بساعدي

وزورة ذات الخـــال من غير موعد فيـــا حسنها لو أنني غير هاجد

ومـــازلت إمـــا واجدا غير طالب لليلـــى ، وإمـــا طالبا غير واجد

فـــلا يبعـــد الله الـــرقاد فإنه من الجيرة الغادين أدنى معـــاهدي

وما زال بي من طارق الشوق عائد عـــلى ذكر عهد مر لي غير عائد

ومستـــرق مـــن وصل أغيد فاتن محاسنـــه روضي وعيناي رائدي

تغطيت منـــه تحـــت قطر مدامعي تغـــطي سلك تحت نظـــم الفرائد
فلـــم يعتنقني من هوى غير أنه تـــــوهم أن الصب بعض القلائد
تمتعتمـــــا يـــا ناظـــري بنظرة وأوردتمـــا قلبـــي أشر الموارد
أعينـــي كفـــا عن فـــؤادي فإنه من البغي سعي اثنين فـــي قتل واحد
كـــأني نصبت العيـــن مني حبالة لتغدو بهـــا سرب الظباء صوائدي
ومن لم يقلب فـــي الورى طرف ناقد يصـــر بالأدانـــي نصب كيد الأباعد
ولمـــا بلـــوت الناس أطلب منهم أخـــا ثقـــة عند اعتراض الشدائد
تطلعت فـــي يومـــي رخاء وشدة ونـــاديت في الأحياء هل من مساعد
فلـــم أر فيمـــا ساءني غير شامت ولـــم ار فيمـــا سرني غير حاسد
وعـــدت إلـــى نفس من العز مرة وصبـــر على الأيام بالنجح واعدي
وقصـــر يسامي النجم من بات فوقه علـــى أنـــه لم تبنه كف شائد
من الســـابقات الريح عدوا اذا غدت ضـــوامن تقريب المـــدى المتباعد
فمـــا زال امضـــائي عليها عزائمي لأنجـــز عند المجد إحدى المواعد
إلـــى أن أعرنا مسقط النجم طرفها وقد يامنت في السير ضوء الفراقد
وقـــالوا مناخ الركب بغداد غدوة وقود المطـــايا طائشات المقاود
فمـــا بـــرحت منـــا مباسم واجد تقبـــل مـــن شوق منـــاسم واحد
وقـــل مـــن العقـــان صوغ اساور لأيـــدي مطي للعـــراق قواصد
يـــزرن مـــن الزوراء بيت مكارم تـــولى له ذو العرش رفع القواعد
مـــواقف خطت للهـــدى نبويـــة لأبيض مـــن بيت النبـــوة ماجد
إذا خزرجت منهـــا المراسم صورت ثرى الأرض آثار الوجـــوه النواجد
وإن أمـــه الوفـــاد ألقوا رحالهم إلـــى خيـــر موفود عليـــه لوافد
إمـــام لـــه فـــي بعده عن عيوننا دنـــو إلـــى إسعـــافنا بالمقاصد
كعـــلمك أن الله للخلـــق شـــاهد جـــلالا ومـــا خـــلق له بمشاهد
خليفـــة صـــدق لا يســـر خلافه سوى خائن عن شرعة الديـــن حائد
ومستظهـــر بـــالله في نصر دينه مظاهـــر درعـــي نجدة ومحامد
من الآخـــرين السابقين إلى العلى إذا الفضـــل أبدى عن مسود وسائد

ليهنك يا أعلى بني الدهر منصبا توقل جد في ذري المجد صاعد
و إحلال ملك في فناء نبوة فأكرم بمورود عليه ووارد
ولم يقترن سعدان أيمن منهما لدين و لا دنيا على عهد عاهد
فلله عينا من رأى الوفد طالعا مع السعد يبدو للعيون الرواصد
ولله سر فيه ، ســـر لسيرة إلى حافظ عن حوذة الله ذائد
سرى في جنود للملائك حوله وأخرى حشود من ملوك أماجد
وقد رشت الأرض الغمام بخيله مع الصبح إكراما لتلك المشاهد
ألم تر كيف اختالت الأرض عزة بما قد بدا من حسنها المتزايد
وزر عليها الوشي حتى كأنها وقد جليت إحدى الحسان الخرائد
وفي الجو غاب بالأسنة شائك على أنه يؤوي أسود المطارد
وإحرام بيض الهند إحرام محصر بأيدي كماة غير أن لم تجالد
فأقسم لو لم يلتزم بدم العدى لها فدية ما طاوعت كف غامد
أيا كالئ الدنيا مع الدين راصدا كذي لبد في ملتقى السبل لابد
ومن رفده وقف على كل طالب ومن حبه فرض على كل عابد
فليس بمقبول لدى الله دونه صلاة مصل أو جهاد مجاهد
تطلع داء من نفاق لحاسم واينع هام من أناس لحاصد
فثر ثـــــورة لله معتصمية لأطفاء ناري مجلب ومكايد
عسى يجمع الفتحين عصرك آنفا كما جمعا قدما برغم المعاند
فجدك في كسر العدى غير عاثر وزندك في نصر الهدى غير صالد
وخيلك في شرق البلاد وغربها قلائد أعناق الحصون الموارد
يخضن الوغى شهبا من البيض وحدها ويخرجن شقرا بالدماء الجواسد
شهدت لقد أحسنت في رعي أمة لها منك طرف دونها غير راقد
فلا سدد الأيام نحـــوك سهمها ولا رمـــــت الأعداء إلا بـــصارد
علوت الورى طرا فليس بناقص محلك من شيء و ليس بزائد
ســـوى أننا نهدي التهاني لأنها وإن قصرت يعربن عن جهد جاهد
أيـــا من غدا حجب الجلالة دونه فنائلـــــه منـــا خلوص العقائد

مغانيك طوف القاصدين بها كما معانيك فيها الدهر طوف القصائد
وإن طال بي عن كعبة المدح غيبة فهذا أو ان السائرات الشوارد
تقرط منها معشر بجواهر ويكعم منها معشر بجلامد
وللعبد إرث من قديم وراثة غدا شافعا منه طريفا بتالد
وحد لسان في أعاديك وقعه يزيد علي سيف الكمي المجالد
فإن شرف العبد اصطناعا فسنة لأهل الوغى حلي السيوف الحدائد
و ما طلبي إلا القبول وإنما أريد عليه واضحات شواهد
بثثت – أمير المؤمنين – صنائعا قليل لها مني كثير المحامد
فدم للورى يا خير من ولى الورى وجادت يداه بالبوادي العوائد
فمن جعل الدنيا بملكك جنة حقيق بأن يعطيك عيشة خالد

١ _ بدأ المعزي في المديح مباشرة وذلك على عكس الأرجاني الذي بدا بالحديث عن الإبل والصحراء والقصيدة عند الأرجاني تبلغ [٧٠ بيتا] أما عند المعزي فالقصيدة تبلغ حوالي [٢٧ بيتا].

٢– مدح كلا الشاعرين خليفة بغداد بصورة مختلفة.

فالأرجاني مثلا يمدحه بأنه حامي الدنيا والدين في قوله :

أيا كالئ الدنيا مع الدين راصدا كذي لبد في ملتقى السبل لابد

ومدحه المعزي بالصورة نفسها ولكن بصياغة أخرى وهو أن الدين مزدهر في عصره ودولته خالية من الفتن والمشاحنات إلى آخر هذه الصورة التي تتجلى لنا معالمها بقوله:

زمشرق تا حد مشرق شناسد هركه دين دارد
كه دين رونق يتأييد أمير المؤمنين دارد

الترجمة:

– كل من له دين في كل العالم يعلم
أن الدين يزدهر بتأييد أمير المؤمنين

على حين يتضح من خلال ما ذكرته المصادر عن الفترة التي كانت مدة حكم المستظهر بالله أنها مضطربة و مليئة بالفتن والحروب وهذا عكس ما أشار إليه كل من المعزي و الأرجاني.

٣- بالغ كل من الشاعرين في مديحهما فالأرجاني مثلا يؤكد في إطرائه على ممدوحه أن.

•- الله عز وجل هو الذي تولى إقامة قواعد دار الخلافة و جعلها مماثلة للكعبة الشريفة بقوله:

يزرن من الزوراء بيت مكارم تولى له ذو العرش رفع القواعد

•-إذ يشبه الخليفة بالله عزوجل فيجعله لا يرفض سؤال سائل كما لا يرفض الله عز وجل سؤال سائل في قوله:

ومن رفده وقف على كل طالب ومن حبه فرض على كل عابد

ليس هذا فحسب بل يجعل قبوله الصلاة عند الله مرتبطا بحب الخليفة في قوله:

فليس بمقبول لدى الله دونه صلاة مصل أو جهاد مجاهد

وهذه الصورة قد سبقه إليها الشاعر العباسي منصور النمري [٤١] التي قالها في مدح هارون الرشيد(ت١٩٢هـ) نتيجة للاختلاط بالفرس إذن الصورة فارسية الأصل وهذا قوله:

إن المكارم والمعروف أوديـة أحلك الله منها حيث تتسع

إذا رفعت امرأ فالله رافعه ومن وضعت من الأقوام يتضع

أي امرئ بات من هارون في سخط فليس بالصلوات الخمس ينتفع

أما المبالغة عند المعزي فصورها تتجلى للمتأمل في ثنايا هذه القصيدة من خلال ملاحظة تسويته بين تقبيل المسلمين الحجر الأسود ووجوب تقبيل المسلمين كم ثوب الخليفة في قوله:

بكعبه در حجر بوسند ديندارن اگر ايدر

بيايد آستين او ببوسد هر كه دين دارد

الترجمة:

– الآن لو كان المتدينون يُقبِّلون الحجر في الكعبة

فينبغـــي أن يُقَبـــلُ طرف ردائه كل متدين

هذه أهم الصور الشعرية التي التقى فيها كل من الشاعرين معا –أما الصـور الشعرية والأفكار التي انفرد بها كل شاعر على حده فهي على النحو التالي:

الصور الشعرية التي انفرد بها المعزي

١ـ توجد بعضاً لأخطاء اللفظية عند المعزي فقد جعلَ الخليفة يتلقب بلقـب شاهنشاه [ملك الملوك] وهذا لقب فارسي صرف لـم يتلقـب بـه أي خليفـة عباسي في قوله:

اقبال امام الحق بود در يك زمان حاصل

هر انديشه كه در خاطر شهنشاه زمين دارد

الترجمة:

– حدث بفضل إقبال إمام الحق في لحظة واحدة أن

أصبحت كل فكرة في خيال الملك حقيقة واقعة

وفي هذا البيت نلاحظ أيضا الامتزاج بين الثقافتين الفارسية والعربيـة فقد استخدم لقب إمام الحق في الشطر الأول وهو أحد ألقاب الخليفة العباسـي الصحيحة وفي الشطر الثاني استخدم لقب شاهنشاه وهو لقب ملـك الفـرس وأعطى كلا من اللقبين للخليفة العباسي وحده كما توجد مغالطة ثانية تتجلـى في جعله محاربا لملك الهند والصين والروم في قوله :

بفر او بگيرد شاه روم وهند وچين يكسر

كه در طالع نشان فتح روم وهند وچين دارد

الترجمة:

ـ يستولي على ملك الروم والهند والصين دفعة واحدة

طبقا لإشارة الفتح التي كانت في طالع الروم والهنـد والصين

وهذا ما لم يفعله المستظهر بالله وإنما قام به هارون الرشيد ، على الرغم من أنه لم يذكر اسم الخليفة داخل أبيات القصيدة ولا في عنوانها لكنه أشار إلى أنه جاء بعد المعتصم والمستعين وهذان الخليفتان قد جاءا بعد هارون الرشيد فأيا من كان الخليفة الذي يقصده فهذا خطأ ولعل منشأ ذلك هو عدم الصدق الفني الذي دفعه إلى إعطائه ألقابا ليست من ألقابه ونسبته أعمالا ليست من أعماله.

٢- لقد جاء المعزي بتشبيه رائع وهو تشبيه الراية العباسية بالليلة المظلمة التي تلد النصر المضيء وقال الليلة الحبلى أي حبلى بالنصر في قوله:

زهر عاقل شنيد ستم كجا باشد شب آبستني

كمان آمد مرا كين لفظ معنى نا مكين چنين دارد

چو ديدم رايت شبرنگ او زاينده نصرت

بدانستم كه لفظ عاقلان معنى چنين دارد

الترجمة:

- سمعت من كل عاقل تساؤلا : أين الليلة الحبلى ؟.

وكنت أعتقد أن هذا التساؤل ليس له معنى واضح.

- عندما رأيت الراية السوداء واضعة النصر.

عرفت أن هذا المعنى هو الذي يقصده العقلاء.

٢- استخدم المعزي مصطلحين صوفيين وهما (التحقيق) [٤٢]و (اليقين) [٤٣] وهذا يعبر عن الفكر الصوفي الذي كان رائجا في عصره بقوله:

بخلد اندر دو حجت بود تأييد و سعادت را

بنام آن كه در اسلام تحقيق ويقين دارد

الترجمة:

- فليخلد التأييد والسعادة لهاتين الحجتين

باسم من له في الإسلام التحقيق واليقين

٤- أشار إلى قضية قديمة طالما دافع عنها الشعراء العرب المؤيدين للعباسين وهي أحقية العباسيين في الحكم من العلويين في قوله:

بشرع اندر هر آن برهان كه بايد مر خلافت را

زاصل او پديد آمد كه تاريخ مبين دارد

چه بايد بيش ازين برهان كه اندر اصل جدان را

يكي چون معتصم دارد يكي چون مستعين دارد

الترجمة:

- فلتجب له الخلافة (طبقا) لكل برهان في الشرع.

ويتضح من أصله أنه ذو تاريخ مضيء.

- أيلزم برهان عن أصله أكثر من جديه

أحدهما كالمعتصم والآخر كالمستعين.

الصور الشعرية التي انفرد بها الأرجاني:

١- استخدم الأرجاني مبالغة ممقوتة في هذه الصورة وهو أنه شبه الخليفة على الرغم من بعده عن عيون الناس إلا أنه قريب منهم بتلبيته لمقاصدهم بالله ﷻ وهو خالق الخلق يرعاهم والخلق لا يرونه وذلك في قوله:

إمام له في بعده عن عيوننا دنو إلى إسعافنا بالمقاصد

كعلمك أن الله للخلق شاهد جلالا ، وما خلق له بمشاهد

٢_ يتظاهر الأرجاني بالتواضع حيث يقول ان أشعاره لا تفي الممدوح حقه ولكن هذا أقصى جهده في قوله :

علوت الورى طرا فليس بناقص محلك من شيء وليس بزائد

سوى أننا نهدي التهاني لأنها وإن قصرت يعربن عن جهد جاهد

ثم يلي هذه الأبيات بأبيات يقول فيها إن مدائحه تصلح لأن يتحلى بها الممدوح أو تصلح بأن تكون قيدا لأعدائه في قوله:

وإن طال بي عن كعبة المدح غيبة فهذا أوان السائرات الشوارد

تقرط منها معشر بجواهر ويكعم منها معشر بجلامد

فهذه الأعمال يجب أن ينسبها إلى السلطان سنجر لا إلى الخليفة ، والمعروف أن شخصية الخليفة العباسي في هذا الوقت كانت ضعيفة ، وغير مؤثرة في الأحداث السياسية .

من هنا نخلص إلى أن مبالغات الأرجاني غير المقبولة التي تجاوز فيها حدود الدين تكثر عن تلك التي استخدمها المعزي .

كما وقع المعزي في بعض الأخطاء التي سبقت الإشارة إليها كتلك الألقاب والأعمال التي ينسبها للخليفة.

وأيضا تناقض مع نفسه في فكرتين:

أولاهما: أنه أشار إلى ازدهار الدين وخلو الدنيا من الفتن، على الرغم من كثرة الحروب بين المسلمين في هذا الوقت .

وأخراهما: أنه ينسب ازدهار الدين و الاستقرار إلى الخليفة على الرغم من أنه يذكر في القصيدة نفسها ان هذا الخليفة هو يمين السلطان سنجر وذلك في قوله:

بود جفت يمين او هميشه طاير ميمون

زبهر آنكه سلطان معظم را يمين دارد

الترجمة:

ـ كان الطائر الميمون دائما رفيق يمينه

لذلك كان التوفيق حليفا للسلطان المعظم

معنى ذلك أنه كان يجب عليه أن ينسب هذه الأعمال إن صحت إلى السلطان سنجر لا إلى الخليفة .

وأرى بعد هذه الدراسة لهاتين القصيدتين أن:ـ قصيدة المعزي أفضل من قصيدة الأرجاني وذلك لما يلي:

١- استخدم المعزي أفكار يتوفر فيها الجانب الديني مثل:

(أ)-أشار إلى نور إيمان الخليفة وأنه إمام الحق ووجوب طاعته طبقا لأمر الله ﷻ(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) الآية "صدق الله العظيم .

(ب)- ذكر مصطلحين صوفيين وهما (التحقيق واليقين)

٢- استخدم صورة بلاغية غير تقليدية منها تشبيه الليلة الحبلى براية الخليفة (الحبلى بالنصر).

٣- وقد أقر في نهاية القصيدة بأفضال الخليفة عليه ونعمه.

أما الأرجاني فقد استخدم أفكارا تقليدية راج استخدامها من قبله فمزج بين بيئته الفارسية وثقافته العربية منذ العصر الجاهلي حتى عصره لذلك نشعر في أثناء قراءتنا لقصيدته أنه لم يأت بجديد أو على الأقل لم يأت بصورة نادرة لم يرج استخدامها من قبله .

القصيدة الثالثة

التي سنجعلها مجالا للبحث هي تلك القصيدة التي عنوانها عند المعزي [در مدح خواجه مؤيد الملك بن خواجه نظام الملك][٤٥]

ونصها:

اى زلف دلبر من پر بند وپر شكنى-

كَاهى چو وعدهٔ اوكَاهى چو بِشت منى

كَه دام سرخ ملى كَه بند تازه كَلى-

كَه درع معصفرى كَه طوق نسترنى

كَه خوشه عنبى كَه عقده ذنبى-

كَه پرده قمرى كَه حلقه سمنى

چون راى تيره دلان بر پيچ وتاب وخمى -

چون راه بد كنشان پر رنگ وزرق و فنى

گـــــــــویی دلیل غمی کآسیب جان ودلی -
گـــــویی قضای بدی کآشوب مرد وزنی
چـــون معجـــزه عجبی چون نادره مثلی -
چـــــون سلسله گرهی چون دایره شکنی
نـــور فریشتگـــان در زیـــر دامن تست -
از تیـــرگی تـــو چرا چون جان آهریمنی
از مشـــك ســـوده کشي برسیم ساده رقم -
گـــویی ســـر قلـــم بو بکر بن حسنی
کافی کفی که کفش چون ابرهست سخی -
صافی دلی که دلش چون بحر هست غنی
رایش یکـــــی صنمست از نیکوی و سزد -
گـــــر آفتـــاب بلنـــد او را کند شمنی
ای رای روشـــن او بـــاعقـــل متصلی -
وی عقـــل کـــــامل او بافضل منقرنی
ای شـــاعری کـــه همی مدحش کنی بسزا-
در دســـت منت او- همـــــواره مرتهنی
گویـــــی فضـــایل او زان شکر این سخنی -
خـــــوانی مدایح او زان عنبـــرین دهنی
ای دشمنـــــی کـــــه ازو کینست در دل تو -
بـــــر آتش حـــــدثان چـــون مرغ بابزنی
هـــم گوش بر أجلـــی هم چشم بر سقری-
هـــم پـــای بر خسکی همدست بر ذقنی
ای مـــاه گـــــه کهی گـــاهی فزوده شوی -
دایـــم بدین دو صفت در شغل خویشتنی
گـــــویي بمجلس او دیـــدی خـــلال ولکن-
زیـــن رو گهی چو خلال گاهی چنان لکنی

ای کلك فـــــرخ او از نقشهـــــای عجب -
مـــــاننده صـــــدفی بـــــر در مختزنی
پروایـــــه خـــــر دی پیمـــــانه هنـــــری -
پیـــــرایه طرفـــــی ســـــرمـــــایه فطنی
گنـــج از تو هست قوی گر چه ضعیف دلی -
ملك از تو هست سمین گر چه نحیف تنی
در ملك ودولـــــت ودین هستی یمین وامین -
تـــــا در یمین وامین خـــود خسرو زمنی
ای مقبلـــــی کـــــه عـــزم اقبال را سببی-
وی منصفـــــی که بکلك انصاف را وطنی
آن جـــــا کـــــه تـــو بود چون معن زایده-
وآن جا که فضل بود چون سیف ذو یزنی
در ملـــــت نبـــــوی چـــون نور در بصری -
در دولـــــت ملکـــــی چون روح در بدنی
مظلـــــوم رابغـــــا تـــــو کاشف الکربی -
محتـــــاج را بسخـــــا تو دافع الحزنی
بـــــرهان منقبتی بنیـــــان منفعتـــــــی-
بنیـــــاد مکـــــرمتی فریـــــاد ممتحنی
مـــــن در صف شعـــــرا استـــاد انجمنم -
تـــــو در صف امرا خـــورشید انجمنی
مـــــن در شمـــــایل تو دانی که شیفته ام-
تـــــو بـــــر قصـــاید من دانم که مفتتنی
تـــــا آفتـــــاب علـــــم جز بر فلك نزند -
خـــــواهم تـــــرا که قدم جز بر فلك نزنی
صد سال خوش بخوری بخل از جهان ببری-
داد طـــــرب بـــــــدهی بیخ ستم بکنی

گـــاهی شـــراب خـــوری با شاهد چگلی-

گـــــاهی نشـــاط کنـــی با لعبت ختنی

ار چـــو کـــه ســاعتکی دیدار من طلبی -

چون برخ صنمی خـــواهی می سه منی

گفتـــم ستـــایش تو بر وزن شعر عربی -

تقطیـــع آن بعـــروض الا چنیـــن نکنی

مستفعلـــــن فعلـــــن مستفعلـــن فعلن-

ابلـــــی الهـــوی اسفا یوم النوی بدنی

الترجمة: -

<u>في مدح السيد مؤيد الملك بن السيد نظام الملك</u>

یـــــا ذؤابـــــة حبیبـــــي المعقـــــدة المجعـــدة

أنت تـــــارة مثـــــل وعـــده وتـــارة مثل ظهري

أنت تارة كفخ خمر قانية و تارة كقيد الورد النضر

وأنت تـــارة درعـــا معصفرا وتارة طوقا نسرينيا

وأنت تـــارة عنقـــود عنب وتـــــارة عقدة ذنب

وأنت تارة حجاب قمـــــري وتـــارة حلقة ياسمينية

وأنت ملتـــوية معقدة مقوصة مثل رأي الحاقدين

وأنت مثل الأشرار تفيضي بالخدعة والزيف والمكر

كأن الدليل هو جرح الحزن الذي في القلب والروح

وكأن القضاء هو السوء في اضطراب الرجل والمرأة

كأنـــــك معجـــزة عجيبـــــة وكـــأنك نادرة المثل

كـــــــأنك سلسلة من العقد وكأنك دائرة من التجاعيد

نـــــــور الملائكـــــــة تحـــــت ردائك

لمـــــــاذا يبـــــدو كـــــروح اهريمن من ظلمتك

أنتِ ترقمين بقلمك من المسك المسحوق على الفضة الخالصة

وكـــــــأنك ســـــن قلـــــم أبي بكر بن حسني

إن كفـــــه كافيـــــة الكفـــــاء كالسحاب السخي

وإن قلبـــــــــه صـــــــاف كالبحـــــر الغني

يـــا مـــن في الحســـن ورجـــاحة رأيـــه جدير

بأن يكون إليها فنجعله إليها فتجعله الشمس العالية معبودا

يا مـــــــن رأيـــــه المنيـــــر متصلا بالعقل

ويـــــا مـــــن عقلـــــه كاملا ومقترنا بالفضل

أيهـــا الشـــاعر الذي كثيـــرا ما تنظم مدحـــه

أنت دائمـــــا مـــــرتهن فـــــي فضل نعمائه

فكـــــأن فضـــائله مـــن ذلك الكـــلام السُكَّري

والتغنـــــي بمديحـــــه مـــــن ذلك الفم العنبري

أيهـــا العـــدو الذي فـــي قـــبك الحقـد عليه.

أنـــت علـــى نـــار الحدثـــان كطـــائر السَفّوه

ســـــواء الأُذُن علـــى الأجل وسواء العين على سقر

ســـــواء القدم علـــى الشوك وسواء اليد على الذقن

أيهـــا القمـــــر أنـــت تـــارة تزيد وتارة تنقص

أنـــــت دائمـــــا مشغـــــول بهـــاتين الصفتين

كـــــأنك تـــــرى فـــــي مجلســـي العود و المـنقد

لـذلك أنـــت تـــــارة كـــــالعود وتـــارة كالمنقد

يـــا ريشتـــه المبـــــاركة إن الصـــــدف الـــباقي

مـــــن نقوشـــــه العجيبـــــة على بـــــاب مختزنك

أنـــــت زينـــــة للعقـــــل وميثـــــاق للفضل

وحليـــــة للظـــــرف ورأس مـــــال للفطنـــــة

قبضتـــــك قويـــة علـــى الرغـــم مـــن أنك رقيـــق القلب
الملك يتضخـــــم بفضلك علـــــى الرغـــــم من أنك نحي
أنـــت الأميـــــن واليميـــن في الملك والدولة والدين
طـــــالما كســـــرى الزمـــــان في يمينك وأمينك
يا مقبـــــلا فـــــأنت سببـــــا لعـــــزم الاقبال
ويـــــا منصفـــــا فـــــأنت وطنا لقلم الانصاف
فحيثمـــــا كـــــان الجود فأنت مثل معن بن زائدة
وحيثمـــــا كـــــان الفضل فأنت مثل سيف بن ذي يزن
فـــــأنت بالنسبـــــة للإسلام كالـــــنور بالنسبة للبصر
وأنت بالنسبـــــة للمملكـــــة كالروح بالنسبة للجسـد
أنـــــت بـــــرعايتك كـــــاشف الكـــرب عن المظلوم
وأنـــــت بسخـــــائك دافـــــع الحـــزن عن المحتاج
أنـــــت بـــــرهان المنقبـــــة وبنيـــــان المنفعة
أنت أساس المكرمة و "مغيث" صراخ المستغيث
أنـــــا أستـــــاذ المحفـــــل فـــي مصاف الشعراء
وأنـــــت شمـــــس المحفـــــل في مصاف الأمراء
تعظـــــم إننـــــي افتتـــــنت بشمـــــائلك
وأنـــــا أعلـــــم أنـــــك مفتتـــــن بقصائدي
طـــــالما شمـــــس العظـــــم لا تبـــــزغ إلا على فلكك
فأتمنـــــى ألا تخطـــــو بقدمـــــك خطوة إلا على فلكي
فـــلتعش سعيـــــدا مـــــائة سنة ولتنزع البخل من الدنيا
فلتقـــدم ميـــــزان العـــــدل ولتنـــــزع أســـــاس الظلم
تـــــارة تشـــــرب مـــــع الحسنـــــاء الجكلية
وتـــــارة تلهـــــو مـــــع الحسنـــــاء الختنية

لـــو تطـــلب لقـــائـــي ســـــويعة

فكيف تـــريد لقـــائي وأنت ذا الـــوجه الجميـل

قلـــــــت مديحـــك على وزن شعر العرب

والذي تقطيعـــه فـــي العـــروض لا يكون إلا هكذ

مستفعلـــــتن فعلـــن مستفعلـــــن فعلن

أبلـــــى الهـــوى أسفا يوم النوى بدني

أما القصيدة التي تناظرها عند الأرجاني فقد وردت تحت عنوان [يمدح مؤيد الملك أبا بكر عبيد الله ابن نظام الملك وزير السلطان محمد بن ملك شاه ويهنئه بهزمه لعسكر الوزير سعد الملك] [٤٦].

ونصها :-

أراقب من طيف البخيلة موعدا و هان عليها أن أبيت مسهدا
أبا الليل إسعادي وقد طال جنحه فما هدأت عيني ولا طيفها اهتدى
فبات برعي النجم طرفي موكلا وبات لذيذ النوم عني مشردا
وهل هي إلا مهجة يطلبونها فإن أرضت الأحباب فهي لهم فدى
أأحبابنا كم تجرحون بهجركم فؤادا يبيت الدهر بالهم مكمدا
إذا رمتم قتلي وأنتم أحبت فماذا الذي أخشى إذا كنتم عدا
سأضمر في الأحشاء منكم تحرقا وأظهر للواشين عنكم تجلدا
وأمنع عيني اليوم أن تكثر البكا لتسلم لي حتى أراكم بها غدا
فهل أنت يا صاح الغداة معرج لنحيي عهدا أو نحيي معهدا
حننت فأسعدنـــي ليوم نعنه يقيض فيه أن نحن فأسعدا
و ما الدهر إلا ما ترى فمتى علت يد لك في دنياك فاصنع بها يدا
دعوا الصب يشفي العين منكم بنظرة فلا بـــد للمشتاق أن يتزودا
ولا يطمع المغرور أن أدع الهوى وإن لامني فيه الخلي وفندا
فليس يبالـــي بالملام متيـــم إذا كان من يهواه بالوصل مسعدا
كما لا يخاف الدهر ملك غدا له وليا أمير المؤمنين مؤيدا
أعز ملوك الأرض نفسا ومعشرا وأعظم أهل الأرض مجدا وسؤددا
ترى منه ملكا عظم الله شأنه فعصيانـــه غي وطاعته هدى

مهيب إذا لم تلقه البيض سجدا ... من الناس ألقت هامها البيض سجدا
هو الشمس في العليا هو الدهر في السطا ... هو البدر في النادي هو البحر في الندى
وإن ألوفا تستطفى في محاسن ... إذا ما حواها واحد كان أوحدا
هنيا لك الفتح الذي صار ذكره ... فغـــار بآفـاق البلاد وأنجدا
طرقت بـــه شمـل العـداة مفرقا ... وعهد المنايـا بالعصـاة مجددا
سما لك من صحن العراق زعيمهم ... يقود جموعا تملأ الأرض حشدا
وقد فـــرق الكتب اللطاف مواعدا ... وروع بـــالجيش الكثيف تواعدا
فمـا كـــذبوا الأقلام هادموا دولة ... بناها لكم صدق السيوف وشيدا
ولا جمع أهل الأرض ينفعهم إذا ... بنصركـــم رب السمـــاء تفردا
طلعت أمام الجيش في ظل رايت ... نظـــامية يلف بها الملك أسعدا
معـــودة أن لا تـــزال بنجمهـــا ... رجيمـــا إذا شيطان شغب تمردا
فلم تلق حربـــا منذ أول عقدها ... فعادت ولم تملأ من الظفر اليدا
فلما التقى الخيلان أمرحت نحوهم ... خطـا كل طيـار القوائم أجردا
بقوم إذا سَارَ العَجَـاجُ تهافَتُ ... إلى سَفَرَاتِ البيضِ مَثْنَى ومَوْحَدا
تَهَـافُتَ مبثُوثِ الفراشِ وقد رأى ... سنا النارِ في قَطْعٍ من الليلِ أسودا
فجاؤوا وقد سدّوا الفضاءَ وسدّدوا ... قَنَـاً بين آذانِ الجيـادِ مُسَدّدا
فلما رأوا أن قد أصـابوا عَدُوَّهُم ... كمـا رُعتَ رألاً بالعشيِ فَحَوَّدا
فأضحَوْا وقد هاجوا أسوداً ضواريا ... وأمسوْا وقد عاجوا نَعاما مُطَرَّدا
وكـلٌ له في أولِ الشوطِ مرحَـةٌ ... ولكن يبينُ السبقُ في آخر المدى
أسلْتَ لهـــم مدَّ النهـــارِ فَوَاثِراً ... من الطعنِ تثني ناظرا الرُمحِ أرمدا
فما غابَ شمسُ الأفقِ إلا ومن دمٍ ... بدا شفقٌ قانٍ به الأفقُ ارتدى
فلولا ظـلامُ يـرقعُ النقـعَ خرقـهُ ... لامست حياضُ الموتِ للقوْمِ موردا
وقد حقّقتْ منه بقايا دمائهم بأن راحَ ... سيفُ الشمسِ في الغـربُ مُغمَداً
وباتَ سوادُ الليلِ لما أظلّهُم هوى ... بســـوادِ العيـنِ و القلبِ يُقتَدى
عجبت لقـــومٍ قـد اراغوا لمطلبٍ ... معاداً ولما يُحمَدْ منه مبتـــدا
ألـم يشهـدوا بالأمسِ منـكِ نكايةً ... سقَت حتفَهُ منهم هُمَاماً مُمَجداً
فتى كان أشقى الناسِ إن كُنتَ خصمهُ ... وإن غَلِطَ المُسْمَى فسماهُ أسْعَدا
فبينـــا يسوسُ الناسَ ملكًا مُعظّمًا ... تَحَـــوّلَ حتـــى صـــارَ شلْواً مُقَدّدا

وقـــام لكِ الإقبـــالُ يهتفُ مُنْشِدا ... أصابَ الردى من كانَ يهوَى لك الردى
هنـــاكَ طـــرقتَ المُلْكَ منـــه مُطْلَقاً ... وغادَرْتَ شملَ التُرْكِ عنهم مُبَدَدا
فـــإن لم يُطيقُـــوا في مغيبـــكَ مَنْعَةً ... فلِمْ حاولوا أن يشهدوا لكَ مشهدا ؟
وإذ راعَ منكَ الاسمُ فانهزموا له ... فكيف رجوْا صبراً وشخصُكَ قد بدا
لقـد أسـأرْتَ فيهـم قناكَ صُبَابَةً ... فأولى لهم أن عادَ أطرافها الصدا
خُلِقْتَ حميدَ البدءِ في كلِّ موقفٍ ... فإن عُدْتَ يوماً كان عَوْدُكَ أحمدا
فحتـــى متى يَصْلَى ببأسكَ خاينٌ ... من الجهلِ في آياتِ مُلْكِكَ ألحدا
يُداوي لـــه كسـراً بكسرِ ضلالةٍ ... كفى وغدا للنارِ بالنـارِ مَخْمَدا
ويجمعُ طولَ العامِ شملاً لِعَسكرٍ ... وتجعلُـهُ فـي سـاعـةٍ مُتَبَدِّدا
إذا ظلَّ من طَوْقَتْهُ البرَّ جاحِدًا ... عَقَدْتَ مكانَ الطوقِ منهُ المُهَنَّدَا
إذا جـــردَ البـاغي أمامكَ سيفَهُ ... تَقَطَّـرَ مِقْطَـالاً بما هوَ جرَّدا
قَدِمْتَ مع الشهرِ الشريف مُظَفَّـرٌ ... فَهَنَّـــأْتَ عَهدِيَ قادمَيْن تَجدُدَا
فكلُّ فـمٍ للنُسكِ صامٌ من الورى ... وكـــلُ فـــؤادٍ للمسـرَّةِ عَيِّدا
فعش ما رنا طَرفُ الظلامِ مُكَحِّلاً ... وَدُمْ بـدا خدُ الصبـاحِ مُوَرَّدا
نصرتَ غيَـــاثَ الدينِ بالهمةِ التي ... كفـــاهُ بها للنصرِ جُنْدًا مُجَنَّدَا
وأصبحتَ ســـــداً عاليـاً دونَ مُلْكِهِ ... وأصبحَ مُلْكُ لستَ أركانَهُ سُدى
لذا المُلْكِ كانت ذي الوزارةُ تُفْتَنِي ... وإن غاظَ أعداءاً فثاروا وحُسِّدَا
قضى الله هذا أمرُ يومَ اصطحبْتُمَا ... فكنتَ أبـــا بكرٍ وكانَ مُحَمَّدَا
فلا زال يَجلو ناظرَ الدهرِ منكُمَا ... سَنَى فَرْقَدٍ أخي من الليلِ فَرْقَدَ
ولا زالَ للمولَـــى الشهيدِ تحيةٌ ... من اللهِ ما ناحَ الحمامُ وغَرِّدا
ولا زلتَ في عرضِ العبيدِ موفقـاً ... لمدحكَ عمري أن أقولَ وتنقدا
وقالت لكَ العلياءُ أحسنتَ نـائلاً ... وأحســنَ تقريضاً وجدتَ وجوداً

يتضح من خلال العنوان ان الشخص الممدوح عند الشـاعرين هـو [مؤيـد الملك] واستكمالا منا للمنهج الذي بدأناه منذ بداية هذا البحث سـندرس هـذا النموذج عند كل من الشاعرين معا لنرى النقاط التي اشترك فيها كل منـهما ، وكذلك النقاط التي انفرد بها كل منهما والبناء الفني الذي سار عليه كل شـاعر في قصيدته.

ولنبدأ بالنقاط التي التقيا فيها الشاعران معا وأهمها.

١- المقدمة الغزلية:

لقد بدأ كل من الشاعرين قصيدته بمقدمة غزلية وتصادف ان موضوع الغزل عند كليهما واحد وهو:

تلك المتاعب التي يجلبها العشق للعاشق ،وإن كان كل منهما قد تناول هذه المتاعب من وجهة نظره الخاصة فنجد المعزي يبدا القصيدة بوصفه للمعشوق بقوله:

اين زلف دلبر من پر بند وپر شكني

گاهي چو وعده او گاهي چو پشت مني

الترجمة:

- يا ذؤابة حبيبي المعقدة المجعدة

(أنت) أحيانا مثل وعده وأحيانا مثل ظهري

يصف في هذا البيت ذؤابة الحبيب ، ومن بين وصفه للذؤابة أنها مقوسة وغير مستقيمة كوعد الحبيب أو كظهر الشاعر المنحني ، فهو يربط هنا بين جمال الذؤابة في تقوسها وما جلبته له هذه الذؤابة من معاناة أدت إلى انحناء ظهره،وتتضح آلامه أيضا من خلال إشارته إلى عدم استقامة وعد الحبيب .

أما الأرجاني فهو يبدأ قصيدته ببيت يبين فيه متاعبه مع محبوبته بقوله:-

أراقب من طيف البخيلة موعدا وهان عليها ان أبيت مسهّدا

ويتضح من معنى هذا البيت طول انتظاره لطيف الحبيبة التي بخلت عليه بالوفاء بالوعد فيقضي طول الليل مسهّدا ، و لعل التقاء المعنى عند الشاعرين في مطلعي قصيدتهما واضح فكل منهما يحاول إبراز معاناته مع محبوبته ولكن منها وجهة نظره الخاصة.

يستمر المعزي في الدوران حول هذا المعني طوال حوالي[ثمانية أبيات] إلى أن يربط بين وصفه لمحبوبه وقلم ممدوحه الذي يذكر اسمه في نهاية البيت الثامن في قوله:

از مشك سوده كشي بر سيم ساده رقم

كَويي سر قلم بو بكر بن حسني

الترجمة:

أنت ترقمين بقلمك من المسك المسحوق على الفضة الخالصة

وكأنك سن قلم أبي بكر بن حسني

أما الأرجاني فيستمر في هذا الجزء الغزلي حتى يصل إلى البيت [الخامس عشر] ويربط فيه بين الخوف ووجود الوزير مؤيد الملك في قوله :-

كما لا يخاف الدهر ملك غدا لـه وليا أميز المؤمنين مؤيدا

فهو يربط بين خوفه ومتاعبه مع محبوبه وما يجب على الملك الذي عنده الوزير مؤيد الملك من عدم الخوف من الدهر إذن هو يتصور أن هذا الوزير سيساعد الشاعر نفسه على التغلب على متاعبه تلك .

٢- تشابه الصورة الوصفية للممدوح عندهما:

لقد تشابه المعزي مع الأرجاني في وصف الوزير مؤيد الملك فالمعزي يشبهه بأنه في الكرم والسخاء كالسحاب وفي صفاء القلب كالبحر وفي وضوح الرأي كالشمس إلى حد أنه يجوز أن يكون إلها يعبد بقوله :-

كافي كفي كه كفش چون ابر هست سخي

صافي دلي كه دلش چون بحر هست غني

رايش يكي صنمست از نيكويي وسزد

كَر آفتاب بلند او را كند شمني

الترجمة:

- إن كفه كافية الكفاء كالسحاب السخي

وإن قلبه صاف كالبحر الغني

- يا مـــن في الحسن ورجاحـــة رأيه جدير

بأن يكون إلها فتجعله الشمس العالية معبودا

ويلتقي المعزي في هذه الصورة مع الأرجاني الذي يقول:

هو الشمس في العليا هو الدهر في السطا

هو البدر في النادي هو البحر في الندى

فهو يشبه ممدوحه بالشمس في العلو والدهر في القوة والبـــدر فـــي المحفل والبحر في الكرم و لعل توارد الأفكار ملحوظ بين هذين النموذجيـــن ان لم يكن قد تأثر أحدهما بالآخر بشكل مباشر عن طريق الاطلاع ولا يمكننا القطع برأي في هذه القضية لعدم يقيننا بأسبقية نظم إحداهما علي الأخرى .

٣-لقد مدح كل من الشاعرين نفسه وبشكل واضح وإن كان المعزي قد أكثر من مديحه لنفسه رغم قصر قصيدته عن الأرجاني فقد مدح نفسه في **[أربعـة]** أبيات علما بأن القصيدة لا تزيد عن **[أربعة وثلاثين]** بيتا ومن بين الأبيـــات التي يمدح فيها نفسه قوله:

من در صف شعرا استاد انجمن

تو در صف امرا خورشيد انجمنى

الترجمة:

- فأنا في مصاف الشعراء أستاذ المحفل

وأنت في مصاف الأمراء شمس الأمراء

فهو يقابل بين نفسه وبين ممدوحه في هذا البيت.

أما الأرجاني فعلى الرغم من أن قصيدته تمتد حوالي**[سبعة وستين]** بيتا فقد مدح نفسه في البيت الأخير فقط وهو قوله:

وقالت لك العلياء أحسنت نائلا وأحسن تقريضا وجدت وجودا

لقد ربط الأرجاني بين تفوقه في الشعر وتفوق ممدوحه في الســـخاء وهذا هو الأسلوب نفسه الذي لاحظناه عند المعزي فيما سبق.

٤- **لقد تأثر كل من الشاعرين بالأدب العربي** وإن كانا قد اختلفا في طريقة تأثرهما.

فالمعزي قد شبه ممدوحه بشخصيات عربية كما في قوله :

آن جا كه جود بود چون معن زايده

واتجا كه فضل بود چون سيف ذو يزني

الترجمة:

- **فحيثما كان الجود فأنت مثل معن بن زائدة** [٤٧]

وحيثما كان الفضل فأنت مثل سيف بن ذي يزن

فقد شبهه بالجود بمعن بن زائدة وفي الفضل كسيف بن ذي يزن. كما أنه يفصح بأنه قال المديح على وزن الشعر العربي ويذكر التفعيلة والبحر هو بحر البسيط وذلك في قوله:

گفتم ستايش تو بر وزن شعر عرب تقطيع آن بعروض الا چنين نكني:

مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدني

الترجمة:

قلت مديحك على وزن شعر العرب

لا يكون تقطيعه بالعروض إلا هكذا:

مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدني

فهذا يعني أن المعزي كان على معرفة بالعروض العربي و الشعر العربي مما يؤكد تأثره بالأدب العربي .

أما الأرجاني فقط تأثر بالأدب العربي عن طريق اقتباسه صورة شعرية من أبي تمام في قوله:

فما كذب الأقلام هادم دولة بناها لكم صدق السيوف وشيدا

المعني الذي يقصده: لا يؤثر كذب صاحب قلم هدام في بناء دولة أقامتها السيوف إذن ما يبنى بالسيف لا يهدمه كذب الأقلام هذه الفكرة قد

اقتبسها من بيت أبي تمام المشهور ، الذي يناظر فيه بيـن صـدق القلـم و صدق السيف ذلك في قوله:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

قد اقتبس هذا المعنى وإن حور فيه كما وضحنا.

٥-لقد بالغ كل من الشاعرين في وصفه لهذا الوزير ، وإن اختلفت صورة المبالغة عند كليهما: فلقد بالغ المعزي في وصفه له بقوله:

در ملت نبوي جون نور در بصري در دولت ملكي جون روح در بدني

الترجمة:

- فأنت في ملة الإسلام كالنور في البصر

وأنت في دولة الملك كالروح في البدن

إذ يشبه الشاعر ممدوحه بنور البصيرة التي لا وجود للإسلام بدونـها وأيضا بالروح التي لا حياة للبدن بمعزل عنها .

أما الأرجاني فيبالغ بتصوير ممدوحه في قوله:

تـرى منه ملكا عظم الله شأنه . فعصيانـه غي وطاعتـه هدى

فهو يقرر أن الله ﷻ عظم شأن هذا الملك حتى أنه يجعـل عصيانـه غيـا وطاعته هدى وهذه مبالغة ممقوتة ولكنها شيمة الشعراء في عصره.

هذه هي أهم المضامين التي اشتركا فيها الشاعران.

أما المضامين التي انفرد به كل شاعر عن الآخر نوجزها فيما يلي:

(أ)- يصف المعزي ممدوحه ويوجد مقابلة بين قوة قبضة الممدوح وسيطرته على الأمور وبين رقة قلبه و بين نحافة جسده وبيـن تضخـم المملكـة و توسعها في قوله:

كَنج از تو هست قوي كَر چه ضعيف دلي

ملك از تو هست سيمين كَر چه نحيف تني

الترجمة:

- قبضتك قوية على الرغم من أنك رقيق القلب

الملك يتضخم (بفضلك) على الرغم من أنك نحيف

كما أنه يأتي في بيت آخر ويدعو له بطول العمر الذي يتمنى أن يصل إلى مائة سنة طمعا في استمرار السخاء وانقطاع البخل عن الدنيا وذلك في قوله:-

صد سال خوش بخوري بخل از جهان ببري

داد طرب بدهي بيـــــــــخ ستم بكني

الترجمة:

- فلتعش مائة سنة ولتنزع البخل من الدنيا

فلتقم ميزان العدل ولتنزع أساس الظلم

هذه هي أهم الصور التي ربما لم تكن رائجة في الشعر الفارسي قبل المعزي.

(ب)-أما الأرجاني فقد جاء بصورة بلاغية في منتهى الإبداع إذ يربط فيها بين ما يحدث في الطبيعة من ظهور الشمس وغروبها وبين كثرة الطعن بالسيوف اللامعة، وما ينتج عنها من دم أحمر قاني اللون في قوله:

أسلت لهم مد النهار فوائرا من الطعن تثني ناظر الرمح أرمدا

فما غاب شمس الأفق إلا ومن دم بدا شفق قان به الأفق ارتدى

فهو يصور كثرة الدم كما لو كانت فوارات في النهار ، وهذا نتيجة لكثرة الطعن ووصلت كثرة هذا الدم إلى أنها حجبت الشمس وجعلت الأفق بلون الشفق أحمر، ويالها من صورة رائعة .

ولقد أخطأ الشاعر في ألقاب الملك الذي كان مؤيد الملك وزيره ، إذ يتضح من خلال عنوان القصيدة أنه يمدح مؤيد الملك وزير السلطان محمد بن ملك شاه ويهنئه بانتصاره على عسكر الوزير سعد الملك بينما يلقب السلطان محمدا في بيت من أبيات هذه القصيدة بغياث الدين في قوله:

نصرت غياث الدين بالهمة التي كفـــاه بهـــا النصر جندا مجندا

علما بأن السلطان محمد لم يتلقب بهذا اللقب إنما كان لقبه **[أبا شجاع]** [٤٨]

يتضح من خلال هذه الدراسة لهذا النص الشعري أن المعزي كان تقليديـا في صوره مسطحا في مديحه لا تكثر عنده الصور الشعرية الجذابـة كتلـك التـي لاحظناها عند الأرجاني سواء في المقدمة الغزلية أم في الغرض الحقيقي من المديح.

فقد تناول الأرجاني ممدوحه في صور مختلفة يبرز من خلالها قوتـه وانتصاراته مازجا بين ممدوحه وبين الطبيعة كما أنه مارس هوايتـه فـي التلاعب بالألفاظ واستغلال ثراء اللغة العربية بمعانيها مثل قوله:

مهيب إذا لم تلقه البيض سجدا من الناس ألقت هامها البيض سجدا

فهو يصف الممدوح في هذا البيت بأنه مهيب وذو وقار فإن لـم تنحـن لـه رؤوس الأشراف طواعية أجبرتها السيوف على الانحناء فقد تلاعب بلفظـة (البيض) فهي في الشطر الأول بمعنى :- **(الرجال الأشراف)** وفي الشـطر الثاني **بمعنى (السيوف)** .

نخلص من دراسة هذه النصوص الثلاثة إلى السمات الفنية المميـزة لكل شاعر من الشاعرين مما نوجزها فيما يلي:

أولا المعزي:

تأثر المعزي بالأدب العربي باقتباس بعـض الأفكـار و الصـور الشـعرية بالإضافة إلي تشبيه ممدوحه بشخصيات عربية معروفة.

١ -**تأثر المعزي بالأدب العربي لفظا ومعنى** مثل قوله :-

طال الليالي بعدكم وابيض عيني من بكا يا حبذا أيامنا في وصلكم يا حبذا[٤٩]

تأثره اللفظي واضح في هذا البيت إذ أن البيت كله باللغة العربية، أما تـأثره المعنوي يكمن في اقتباسه بعض الأفكار والصور الشعرية العربية بالإضافـة إلى تشبيه ممدوحه بشخصيات عربية معروفة مثل الذي ذكرناه أثنـاء هـذا البحث عندما شبه ممدوحه بسيف بن ذي يزن أو معن بن زائده وغيرهما .

٢- **تأثره بالتاريخ الإسلامي** إذ استلهم بعض الأحداث التاريخية في مديحه ، وإن أخطأ في استخدام بعضها في غير موضعها .وقد سبق أن استشـــهدت بأبيات في هذا الموضوع [١]

٣- كان يبدأ قصائده **تارةً بالمديح** مباشرةً مثل القصيدة التي قالها في مـدح السلطان سنجر والتي قال فيها :-

ايشاد زتو خلق وتو از دولت خود شاد دنيـــا بتو اراسته ودين بتو آباد

ايزد همه آفاق تـرا داد سراسر حقا كه سزاوار تو بود آنچه ترا داد [٥٠]

الترجمة :

أيها السعيد، الخلق منك وأنت سعيد من دولتهم

الدنيـــا مزدانـــة بك والـــدين عامر بك

أعطـــــاك الله كـــل الآفـــاق

وحقـــــا إنـــك جدير بكل ما أعطاه لك

لعلنا نلاحظ أن المعزي يغالي كعادته في مدحه في هذين البيتين وهمـا كانـا في مطلع قصيدته المشار إليها .

وتارةً ثانية:- كان يبدأ قصائده بالغزل مثل القصيدة التي قالها في

دل بى قرار دارم از آن زلف بى قرار

سر بر خمار دارم از آن چشم بر خمار

داند نكار من كه چنين استحال من

زان چشم بر خمار واز ان زلف بى قرار[٥١]

الترجمة :-

لي قلب مضطـــــرب من تلك الذؤابة المضطربة

ولي رأس مخمـــورة من تلك العين المخمورة

---

[١] -انظر ص ٤٤ من البحث

- ان حبيبـــــــي يعلـم أن حـــــــالي هكذا

من تلك العين المخمورة ومن تلك الذؤابة المضطربة

وتارة ثالثة:- يبدأ قصائده بوصفه للطبيعة مثل القصيدة التي قال فيها :-

باز آمد وآورد خزان لشكر سارما

بشكست وهزيمت شد ازو لشكر كرما[٥٢]

الترجمة :-

عاد الخريف وجلب معه جيش الجو البارد

وانهـــــزم منـــــــه جيش الجو الدافئ

وتارة رابعة:- كان يقدم بقصائده بمقدمات دينية كقوله :-

عيد اضحى رسم وآيين خليل آزرست

عيد فطـر اندر شريعت سنت بيغمبرست

هر دو عيد ملت است وزينتست اسلام را

عيد دولت طلعت ميمون سلطان سنجرست [٥٣]

الترجمة :-

إن عيد الأضحى هو سلوك ومذهب الخليل بن آزر

وعيـــــــد الفطر هو سنة الرسول في الشريعة

وكلاهمـــــــا عيـــــد الأمـــة وزينة الإسلام

وعيد الدولة هو الطلعة الميمونة للسلطان سنجر

يتضح مزيجه في هذين البيتين بين المديح والمناسبات الدينية ونشير إلـــى أن معظم مقدمات قصائد المعزي قصيرة ثم يدخل في غرضه مباشرة

كما أن البناء الفني في قصيدة المديح عنده لم يكن موحدا أو ذا وتيرة واحـــدة وقد اتضح ذلك من خلال الأمثلة السالفة الذكر

٤ – اتسمت قصائد المديح التي اخترناها عند المعزي بقصرها عن مثيلاتـــها عند الأرجاني.

٥– لقد استحدث المعزي بعض صور المديح التي تميز الأدب الفارسي عـــن الأدب العربي على الرغم من أن معظم مديحه يعد مديحا مسطحا تقليديـــاومن صوره المستحدثة غير التقليدية قوله :–

بخاك اندر دفين دارند شاهان گنج وشاهنشه

بجاى گنج دشمن را بخاك اندر دفين دارد[٥٤]

الترجمة :–

إن الملوك يحتفظون بالكنوز دفينة تحت التراب

وملك الملوك يدفن الأعداء بدلا من الكنوز

لعل هذه الصورة ليست تقليدية وتكاد تكون من اخـــتراع المعـــزي وان كنـــا لانستطيع القطع بذالك

ثانيا الأرجاني :

١ –لقد تميز الأرجاني بوحدة البناء الفني في النماذج التي كانت مجال البحـــث فهو يبدأها كلها بأبيات من الغزل لا تقل عن[خمسة عشر]بيتا.

٢ –استعرض الأرجاني في قصائده ثقافاته المختلفة في نواحيـــــها العلميـــة و التاريخية و الفلكية وغيرها .

٣ –اقتبس الأرجاني بعضا من أفكار الشعر الفارسي إضافة إلى بعض الألـفاظ الفارسية التي ربما لم تستخدم من قبله في الشعر العربي .

٤– جاء الأرجاني بصور شعرية في غاية الإبداع فهو قد مزج بيـــن صفـــات ممدوحه،وبين ما يحدث في الطبيعة ،مما أضفى على شعره جمالا ورونقا أخاذا.

٥-لقد كان الأرجاني مغرما بالإكثار من المحسنات البديعية والتلاعب بألفاظ اللغة العربية مما جعل أشعاره ذات روعة وجمال تجتذب القارئ وإن كانت هذه سمة مميزة لأشعار عصره بشكل عام .

ولم ينس أي من الشاعرين أن يمدح نفسه أثناء قصائده في المديح

هذه هي أهم السمات التي ميزت كل شاعر عن الآخر مما يتضح منها مدى امتزاج الأدب العربي بالأدب الفارسي وإن لم يمح هذا الامتزاج ظهور شخصية الأدب والأديب في إنتاجه فالقارئ يستطيع أن يتعرف ببساطة على جنسية الأديب من خلال ما يقرؤه له من أعمال فنية بمعنى أننا نستطيع أن نتعرف على أن المعزي كان متأثرا فقط بالثقافة العربية ولكنه لم ينظم باللغة العربية مثلا وكذلك الأرجاني الذي تأثر ببعض الأفكار الفارسية وبعض الألفاظ الفارسية رغم أنه لم ينظم شعرا باللغة الفارسية

وبالله الهدى والتوفيق والسداد

هوامش البحث

---

* مدرس اللغة الفارسية – قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة المنيا.

[١] PAUL VAN TIEGHEM ;LALITTERATURE – COMPAREE;(PARIS4 TH EDITION)REVISED 1951,P 117,

[٢] . CF . SHAW.OP.EIT.,P. 64-6

[٣] – ديوان زهير، دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٥٠ ص ٣وشرح القصائد الجاهليات لابن الأنباري .

[٤] –يراجع في ذلك كل من دواوين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الأنصاريين ، وكعب بن زهير المزني وعبد الله بن الزبعري والعباس بن مرداس السلمي وحميد بن ثور الهلالي وغيرهم كما ينظر بالتفصيل في.

- د/ زكي مبارك : المدائح النبوية في الأدب العربي ، دار الجيل بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م صـ١١-٥٩.

-عبد الله الطيب المجذوب : شعر المديح النبوي، مؤتمر الدورة الثانية والأربعين لمجمع اللغة العربية، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ص ١٩٩- ٢١٨.

-و د/ احمد محمد النجار مضمون المدحة النبوية زمن البعثة، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٢١ وما بعدها -

و د/ عبد الله التطاوي : حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية، دار غريب، القاهرة ١٩٩٨م ٩- ٤٤ وما بعدها

و د/ عبد المجيد الإسداوي : أدب صدر الإسلام مكتبة عرفات ، الزقازيق ١٩٩٨م ص ١٥٨-١٧٣وما بعدها.

[٥] -ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات – تحقيق ودراسة د. إبراهيم عبد الرحمن محمد، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ١٩٩٦م ص ٢٥٢وديوانه ، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم ، دار بيروت للطباعة ١٩٨٦م ص ٩١

[٦] – الأغاني ص٢١ج ٦

[٧] -ديوان جرير ج٢ ص ٣٥٥.

وأنظر: مدحه لعمر بن عبد العزيز ، بديوانه ،ج ١ ص ٢١١ ..

وأنظر : مدح عدي بن الرقاع للوليد بن عبد الملك – بديوانه / م الفيصلية بمكة ص ٦٠ –

وأنظر : مدح النابغة الجعدي لعبد الله بن الزبير بديوانه ، دار صادر ص ١٥١ ،

وأنظر : ومدح ذي الرمة لهاجر بن عبد الله بديوانه ، دمشق ، ٢ج ص ١٢٦٦ -١٢٦٨.

وأنظر :مدح أعشى همدان للحجاج الثقفي بديوانه ، ص ١٠٣-١٠٤ ..

وأنظر : مدح الأخطل التغلبي النصراني لممدوحه الأموي شعره بيروت ج٢ص٧٢٩- ٧٣٠ وغيره .

وأنظر: د / وهب رومية : قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي بين الصول والإحياء والتجديد ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨١م.

وأنظر: د/عبد المجيد الإسداوي : الأدب الأموي ، م عرفات ، الزقازيق ١٩٩٨ص ٢٠٠-٢١٠ غيرها.

[٨] -ينظر بالتفصيل :

– د/ شوقي ضيف : فصول في الشعر ونقده ، دار المعارف بمصر ١٩٨٨م ص ٥٥-٦١.

-د / أيمن محمد زكي العشماوي : قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها ص ١٣-٣٦.دار النهضة بيروت ١٩٨٣.

[٩] – البحتري– الديوان – عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن الصيرفي ١٩٦٢م مجلد ٣ القاهرة ط ٣

[١٠] انظر : الحسن بن هانئ ديوان أبي نواس – حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغـــزالي ص٤٦٧ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٤هـ

[١١] –أنظر : ديوان كعب بن زهير – ص ٣: ط قراقو بولونيا – ، ص ٨ – ط القاهرة سنة ١٩٥٠م

[١٢] –انظر : شرح هاشميات الكميت – بتفسير أبي رياش القيسي – تحقيق داوود سلوم – ود/ نوري القيسي –ص٤٣ – عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية –بيروت ط٢ سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٦م

[١٣] انظر : ديوان أبي نواس ص ٥٧.

[١٤] –انظر : ديوان أبي نواس ص ١٤٨

[١٥] انظر : ابن المعتز – طبقات الشعراء ١٠٤–وديوان سلم الخاسر ص ٢١١– ٢١٢.

[١٦] هو أبو النجم أحمد بن قوص المنوجهري التحق ببلاط الغزنويين سنة ٤٢٦هـ ومدح مراءهم وسلاطينهم – وتوفي سنة ٤٣٣هـ.

انظر : – براون – الأدب في ايران من الفردوسي للسعدي ص ١٨٨– ترجمة أمين الشواربي ســـنة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.

[١٧] انظر : المنوجهري – الديوان تحقيق محمد دبير سياقي قصيدة رقم ٢٨طهران ١٣٥٦هـ.

[١٨] – انظر : ديوان المنوجهري قصيدة رقم ٢٨.

[١٩] – انظر : ديوان المنوجهري ص ٣٤

[٢٠] انظر : أبو عبد الله بن محمد جعفر الرودكي من شعراء العصر السامانى ولـــد في منتصـــف القـــرن الثالث الهجري وتوفي في النصف الأول من القرن الرابع.

و أنظر : ذبيح الله الصفا – تاريخ أدبيات در إيران صـــ ٣٧١–٣٧٤ – جلد أول .

[٢١] انظر: سعيد نفيسي –أحوال وأشعار عبد الله جعفر بن محمد رودكي ص ٩٩٤– جلد سوم.

[٢٢] هو ناصح الدين أحمد بن محمد الأرجاني ولد بأرجان من بلاد فارس عام ٤٦٠هـ وإليها نسب علـــى الرغم من أنه فارسي المولد إلا أنه عربي الأصل تخرج في العلوم بالمدرسة النظامية بأصبهان وتولى القضـــاء نائبا لبراعته في الفقه وعاصر الأرجاني خمسة من الخلفاء العباسيين توفي في مدينة تستر عام ٥٤٤هـ.

انظر :– الأرجاني – الديوان – تقديم و ظبط وشرح قدري مايو –صـــ ١٠ ومـــا بعدهـــا –دار الجيـــل بيروت سنة ١٩٩٨م.

[٢٣] انظر : أمير الشعراء محمد بن عبد الملك النيشابوري الملقب بالمعزي وهو معاصر للسلاجقة ويعـــد من كبار شعرائهم ولد سن ٤٦٥هـ وتوفي سنة ٥٤٢هـ.

وانظر : محمد عوفي – لباب الألباب – صـــ ٦٩ ج ٢ مطبعة مدينة ليدن.

[٢٤] انظر : ديوان المعزي با مقدمة وحواشي بسعي واهتمام عباس إقبال صـــ ١٥٥طهران ســـنة ١٣١٨ هـــ ش .

[٢٥] –انظر : ديوان الأرجاني ص ٣٤١ ج ٢ .

[٢٦] –انظر :ديوان أبي الطيب المتنبي–شرحه وكتب هوامشه مصطفى لبيقي ص ١٣٨ ج ٢–بيروت سنة ٨٦م

[٢٧] –انظر : ديوان أبي الطيب المتنبي–ص ١٣٨ ج ٢

[٢٨] –انظر : عماد الدين الأصفهاني– تاريخ دولة آل سلجوق – اختصار محمد البنداري الأصفهاني ص ١٢٠ وما بعدها – دار الآفاق الجديدة – بيروت سنة ١٩٧٨م

[٢٩] –انظر : تاريخ دولة آل سلجوق – ص ١١٤وما بعدها

[٣٠] – انظر : ورد هذا اللقب في كتاب تاريخ دولة آل سلجوق – عماد الدين الأصفهاني ص١١٤

[٣١] –السماكان : نجمان ناريان أحدهما السماك الأعزل والآخر السماك الرامح ويقال لهما رجلا الأسد وسمي الأعزل لأنه لاشئ بين يديه من الكواكب كالأعزل الذي لا رمح معه ، وهو من جهة الشمال وسمي الرامح لانوء له وهو من جهة الجنوب وهما من برج الميزان

انظر : ابن منظور–لسان العرب ص ٤٣٤رقم ٦٥٠٢مجلد ١٠–دار الطباعة والنشر – بيروت سنة ٩٥م

[٣٢] – هو عدي بن زيد العبادي التميمي – كان ترجمان عند كسرى –

انظر : الزركلي – خير الدين ، الأعلام ص ٢٢٠ ج ٤ دار العلم للملايين –بيروت ط٥ سنة ١٩٨٠م

[٣٣] –انظر : تاريخ دولة آل سلجوق – ص ١٤٤ ط ٢

[٣٤] –انظر : تاريخ دولة آل سلجوق – ص١٢٥

[٣٥] –انظر : تاريخ دولة آل سلجوق – ص١٣١

[٣٦] –سبق التعريف بالشاعر

[٣٧] –انظر : سعيد نفيسي –احوال وأشعار ابو عبد الله بن جعفر بن محمد رودكي – ص٩٨٨ – جلد سوم – تهران ١٣١٩هـ ش

[٣٨] انظر : ديوان المعزي صـــ١٧١.

[٣٩] –هو أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله المستظهر بالله – ولد سنة ٤٧٠هـ بويع له الخلافة بعد موت أبيه وهو ابن ست عشرة سنة – كان يدل على فضل غزير وعلم واسع سمحا كريما ومحب للعلماء و الصلحاء– ولم تصف له الخلافة بل كانت أيامه مضطربة وكثيرة الحروب – توفي عام ٥١٣هـ

انظر : الزركلي – الأعلام – صـــ١٥٨ ج ١– الطبعة ١١

[٤٠] – انظر : ديوان الأرجاني ص ١٩١

[٤١] – منصور بن الزبرقان بن سلمة . النمر بن قاسم وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة وكان من شعراء هارون الرشيد

انظر : ابن رشيق – العمدة ج ٢ ص ١٣٩

[٤٢] التحقيق : الحقيقة : مشاهدة الربوبية بالقلب

انظر : زكريا الأنصاري – الفتوحات الإلهية في تفح أرواح الـــزواج الانـــانية ص٣٠ القـــاهرة ١٩٩٢م.

[٤٣]اليقين : وهو عند الطوسي أصل جميع الأحوال الصوفية–

انظر : السراج الطوس– تحقيق عبد الحليم محمود – طه عبد البـــاقي ســـرور ص١٠٣ – ١٠٤ دار الكتب الحديثة ٩٦٠ م.

[٤٤] – سورة النساء آية رقم ٥٩

[٤٥] –انظر : ديوان المعزي ص٧٢٨

[٤٦] –انظر : ديوان الأرجاني ص٢١٣ج١

[٤٧] –هو معن بن زايدة الشيباني

انظر : ابن منظور – لسان العرب ص٤٠٩ ج ١٣ وما بعدها رقم الكلمة ٨٥٨٧دار الصادر بيروت

[٤٨]– انظر : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٨٦

[٤٩] –انظر : ديوان المعزي ص ٥٠

[٥٠] –انظر : ديوان المعزي ص ١٣٩

[٥١] –انظر : ديوان المعزي ص ٣٣٢

[٥٢] –انظر : ديوان المعزي ص٢١

[٥٣]– انظر : ديوان المعزي ص٩٩

[٥٤] –انظر : ديوان المعزي ص ١٧١